

كامل كيراني

قصص من الف ليلة

محايفة النجاة



DUNBARAB



دار المعارف

الفصل الأول

١ - هُبُوبُ العاصِفَةِ

هَبَّتِ العاصِفَةُ شَدِيدَةً عَاتِيَةً ، وَتَعَالَتْ أَمْوَاجُ البَحْرِ هَادِرَةً صاخِبَةً ،
تُهَدِّدُ السَّفِينَةَ بالغَرَقِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى ، وَاسْتَوَى الخَوْفُ عَلَى
رُكَّابِ السَّفِينَةِ وَمَلَّاحِيهَا وَرُبَّانِهَا ، وَخَارَتْ مِنْهُمْ القُوى ، وَكَادَ اليَأْسُ
يَسْتَوِي عَلَيْهِمْ ، لَوْلَا مَا بَعَثَهُ أَمِيرُهُمْ « إقبالٌ » الشُّجاعُ مِنْ أَمَلٍ فِي
نُفُوسِهِمْ ؛ بِفَضْلِ مَا أُوتِيَ مِنْ ثَبَاتِ قَلْبٍ ، وَقُوَّةِ عَزِيمَةٍ ، وَبِرَاعَةِ
حِيلَةٍ . وَالشُّجَاعَةُ تُعْدِي كَمَا يُعْدِي الخَوْفُ ، وَتَنْتَقِلُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى
آخَرَ كَمَا يَنْتَقِلُ المَرَضُ .

وَكَانَ « إقبالٌ » مِنْ أَفْذَادِ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَزِيدُهُمُ الشَّدَائِدُ صَلَابَةً
وَقُوَّةً ، فَرَّاحٌ يُصْدِرُ إِلَيْهِمْ أَوْامِرَهُ تِبَاعًا - فِي بَرَاعَةٍ وَحُنُكَةٍ وَذَكَاءٍ -
حَتَّى كَتَبَتْ لَهُمُ السَّلَامَةَ ، بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضُوا لِلِهَلَاكِ يَوْمَئِذٍ كَامِلِينَ ، كَانَتْ
العَوَاصِفُ تُهَدِّدُهُمْ - فِي خِلَالِهِمَا - بِالغَرَقِ بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْفِينَةِ .

فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ سَكَنتِ الرِّيحُ العَاصِفَةُ ، وَهَدَّأتِ الأمَّواجُ
الثَّائِرَةَ ، وَنَجَّتْ سَفِينَةُ الأميرِ ، كَمَا نَجَّتْ سَفَانُ أَتباعِهِ وَحاشيتِهِ
مِنَ الغَرَقِ .

٢ - حوارُ الأميرِ والرُّبَّانِ

وَمَا إِنَّ تَبَيَّنَ الرُّبَّانُ مَوْقِعَ السَّفِينَةِ مِنَ البَحْرِ حَتَّى صَرَخَ
مُتَأَلِّمًا ، وَقَالَ :

« لَقَدْ نَجَّوْنَا - يا سَيِّدِي الأميرِ - مِنَ الغَرَقِ ، وَلَكِنَّا لَمَّا

نَجَّجُ مِنَ الهَلَاكِ . »

فَسَأَلَهُ الأميرُ : « مَاذا تَعْنِي ؟ »

فَقَالَ الرُّبَّانُ : « لَقَدْ ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ ؛ فَمَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ

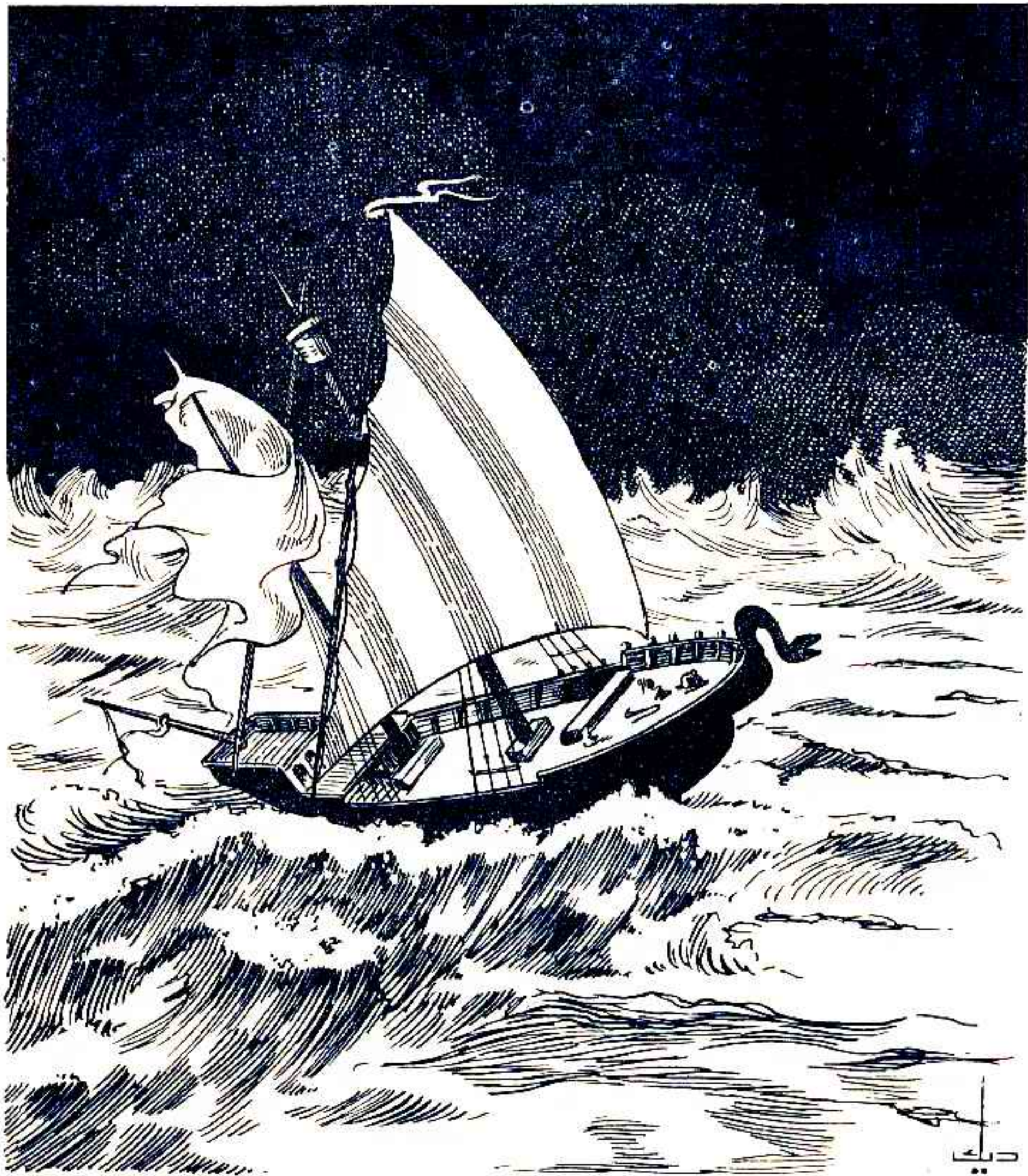
الدُّنْيَا طَوَّحَتْ بِنَا العَاصِفَةُ ؟ وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ : أَيُّتَاحُ لِسَفَائِنِنَا (مَرَاكِبِنَا)

أَنْ تَرَسُوَ عَلَى البَرِّ ، أَمْ كَتَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْضِيَ ما بَقِيَ مِن أَيَّامِنَا

فِي الحَيَاةِ هَائِمِينَ عَلَى سَطْحِ المَاءِ حَتَّى يَنْفَدَ ما مَعَنَا مِنَ طَعَامٍ وَشَرَابٍ

فَنَهْلِكَ جُوعًا وَعَطَشًا ، بَعْدَ أَنْ نَجَّوْنَا مِنَ المَوْتِ غَرَقًا ؟ »

فَقَالَ الأميرُ الشُّجاعُ : « لا تَجْزَعْ وَلَا يَهِنُ مِنْكَ العَزْمُ ، فَإِنَّ



عِنَايَةَ اللَّهِ الَّتِي يَسَّرَتْ لَنَا طَرِيقَ الْخَلَاصِ مِنْ خَطَرِ الْعَاصِفَةِ ، قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تُيَسِّرَ لَنَا طَرِيقَ النِّجَاةِ . فَإِذَا كَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَدْ كَتَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَمُوتَ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ، فَلَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ فِيمَا قَضَى اللَّهُ . وَمَا أَجْدَرَنَا أَنْ نُوَاجِهَ الْمَوْتَ - كَمَا نُوَاجِهُ الْحَيَاةَ - بِاسْمَيْنِ غَيْرِ هَيَّابَيْنِ وَلَا خَائِفَيْنِ . وَلَيْسَتْ هَذِهِ أَوَّلَ عَاصِفَةٍ نَلْقَاهَا فِي رِحَالَتِنَا ، وَمَا أَحْسَبُهَا آخِرَ عَاصِفَةٍ تُكْتَبُ لَنَا السَّلَامَةَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ أَهْوَالِهَا . «

٣ - الرَّاحَةُ بَعْدَ التَّعَبِ

وَهَكَذَا رَدَّ الْأَمِيرُ الشُّجَاعُ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى قُلُوبِ أَصْحَابِهِ . وَسَارَتْ سَفَائِنُ الْأَمِيرِ تَحْمِلُهُ مَعَ حَاشِيَتِهِ وَجُنُودِهِ فِي الْبَحْرِ عَلَى غَيْرِ هُدًى خَمْسَةَ أَيَّامٍ أُخْرٍ . ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ عَلَى السَّاحِلِ ، فَخَرَجَ الْأَمِيرُ وَرِفَاقُهُ إِلَى الْبَرِّ آمِنِينَ شَاكِرِينَ اللَّهَ حَامِدِينَ ، وَجَلَسُوا يَلْتَمِسُونَ الرَّاحَةَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ ، بَعْدَ أَنْ كَابَدُوا فِي رِحْلَتِهِمُ الطَّوِيلَةَ الشَّاقَّةَ مَا كَابَدُوا مِنْ أَهْوَالٍ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَقَامُ رَأَوْا مِنْ دَلَائِلِ الْخِصْبِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ مَا مَلَأَ نُفُوسَهُمْ بِهِجَةً وَإِعْجَابًا ، حَتَّى خِيَّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَلُّوا فِي جَنَّةٍ

مِنْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ أَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، وَرِياضٍ تَحْفِلُ بِأَطْيَابِ
الثَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ !

وَلَبِثُوا أَيَّامًا يَتَرَقَّبُونَ أَنْ يَرَوْا إِنْسَانًا يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي
حَلُّوا بِهِ ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا .

٤ - الْمَدِينَةُ الْمُوصَدَةُ

وَذَا صَبَاحٍ خَرَجَ الْأَمِيرُ يَرْتَادُ تِلْكَ الْأَنْحَاءَ لِيَتَعَرَّفَ شَيْئًا عَنْهَا ،
فَانْتَهَى بِهِ السَّيْرُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ ، فَقَصَدَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ صَعَدَ فِيهِ ، وَمَا زَالَ
مُصْعِدًا فِيهِ حَتَّى بَلَغَ قِمَّتَهُ .

فَرَأَى عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ سُورَ مَدِينَةٍ عَالِيَةٍ ، فَأَيَّقَنَ بِقُرْبِ الْفَرَجِ ،
وَأَسْرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ بِمَا رَأَى . وَكَانَ الْمَسَاءُ قَدْ اقْتَرَبَ ، فَبَاتُوا
لَيْلَتَهُمْ فِي مَكَانِهِمْ ، وَأَسْتَأْنَفُوا السَّيْرَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ حَتَّى بَلَغُوا ذِرْوَةَ
الْجَبَلِ ، ثُمَّ هَبَطُوا إِلَى سَفْحِهِ الْآخِرِ ، وَاسْتَرَاخُوا يَوْمَهُمْ ، مُسْتَأْنَفِينَ فِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ سَيْرَهُمْ . فَرَأَوْا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمْ مَدِينَةً عَالِيَةَ الْبُنْيَانِ ،
مُشِيدَةً الْأَرْكَانِ ، يَحْفُ بِهَا سُورٌ عَالٍ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهَا ، وَرَأَوْا أَبْوَابَهَا
النُّحَاسِيَّةَ مُغْلَقَةً قَدْ أَحْكَمَ رِتَاجُهَا بِالْمَتَارِيسِ وَالْأَقْفَالِ ، فَاسْتَحَالَ الدُّخُولُ

إليها ، ولاح لهم في أعلى السور بروجٍ مُحَصَّنَةٍ ، أبوابها من النحاس ،
 اتقنت نقوشها وزخارفها أيما إتقان . فأقاموا يومهم يدبرون الحيلة في
 دخولها ، فلم يهتدوا إلى وسيلة تمكنهم من تحقيق رغبتهم .

٥ - السلم الكبير

فأشار عليهم الأمير أن يعملوا سلماً كبيراً يسامت ذروة سورها العالی
 ليتمكن من فتح أبوابها ، وتعرف خبرها وعجائبها ، وسؤال أهلها عن
 اسمها ، ومكانها من الدنيا .

فقالوا : « نعم ما أشار به الأمير . »

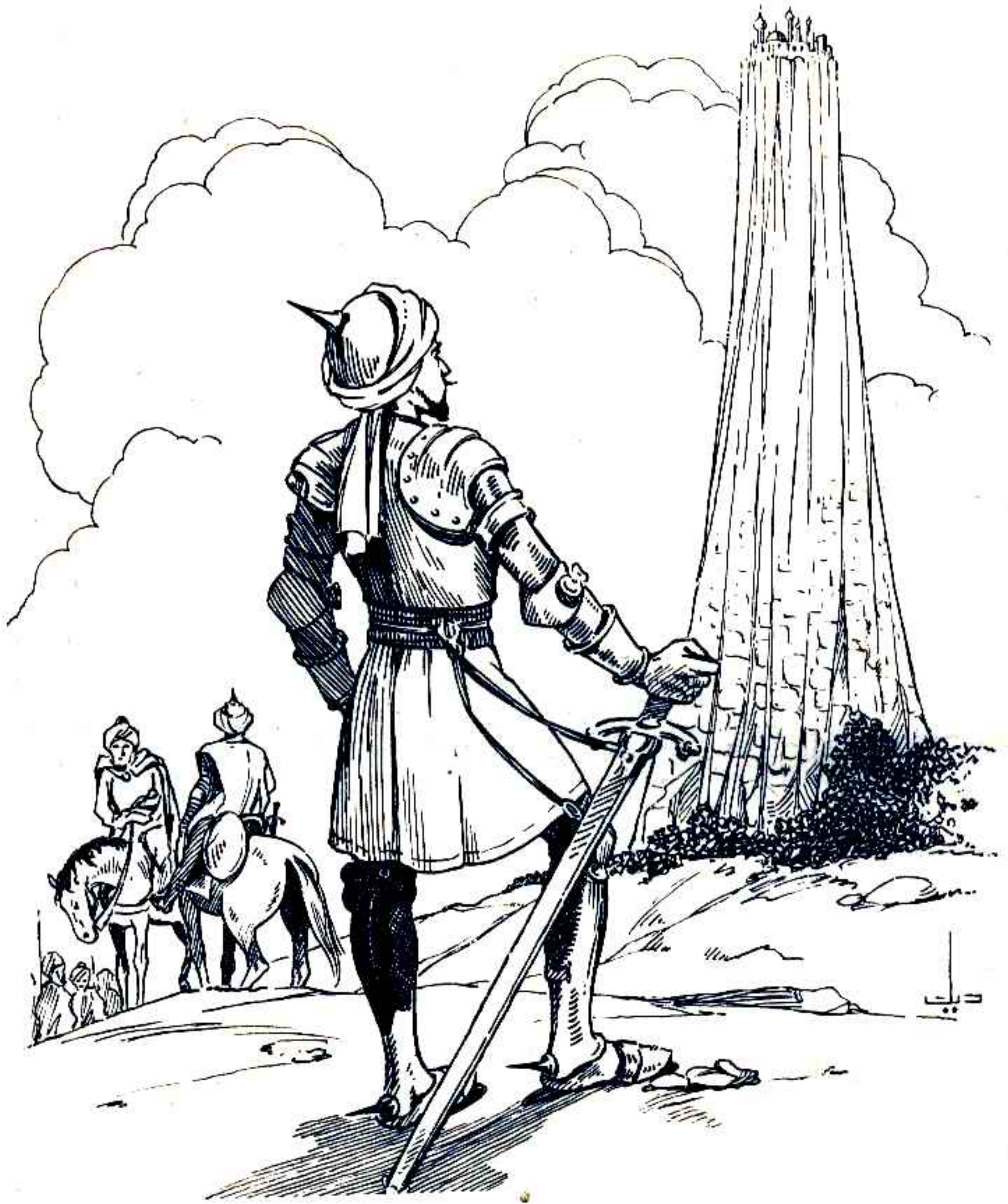
وما لبثوا أن أتموا صنع السلم الكبير ، ثم تعاونا على رفعه حتى أقاموه
 وألصقوه بالسور العالی ، فجاء مساوياً له ، كأنه قد عمل على قدمه وارتفاعه .

٦ - السباقون إلى الموت

فشكر لهم الأمير جهودهم وتوفيقهم ، وقال :
 « برك الله فيكم . لقد كلل الله مسعاكم بالنجاح ، فكأنما قسم

السلم على ارتفاع سور المدينة . »

ثم سألهم : « أيكم يستطيع أن يرتقي هذا السلم العالی حتى يبلغ



ذِرْوَةَ السُّورِ ، ثُمَّ يَحْتَالُ لِنُزُولِهِ إِلَى أَرْضِ الْمَدِينَةِ لِيَفْتَحَ لَنَا مَغَالِيقَ
هَذَا الْبَابِ ؟ »

فَقَالَ أَحَدُهُمْ ، وَقَدْ طَمَحَتْ نَفْسُهُ إِلَى الظَّفَرِ بِتَحْقِيقِ رَغْبَةِ الْأَمِيرِ :
« أَنَا أَصْعَدُ عَلَيْهِ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - وَأَتَكْفَلُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ . »
فَقَالَ الْأَمِيرُ « إِقْبَالٌ » : « أَصْعَدُ . بَارِكْ اللَّهُ فِيكَ . »

فَصَعِدَ الْفَارِسُ أَذْرَاجَ السُّلَّمِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَعْلَاهُ .
وَمَا كَادَ يَرْتَقِي سُورَ الْمَدِينَةِ ، وَتَثَبَّتْ عَلَيْهِ قَدَمَاهُ حَتَّى شَخَصَ بِيَصْرِهِ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

« لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ . هَا أَنَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ ، مَاثِلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ . »
ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ ، فَدَقَّتْ عُنُقُهُ ،
وَأَنْهَرَسَ لَحْمُهُ وَعَظْمُهُ .

فَقَالَ الْأَمِيرُ « إِقْبَالٌ » : « إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلَ الْعَاقِلِ ، فَمَاذَا يَصْنَعُ
الْمَجْنُونُ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَيَفْنَيْنَّ أَصْحَابُنَا جَمِيعًا إِذَا اقْتَدَوْا بِفِعْلِ هَذَا الرَّائِدِ
الْأَحْمَقِ . ارْجِعُوا ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا لِدُخُولِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمَسْحُورَةِ ،
وَلَا خَيْرَ فِي الْبَقَاءِ هُنَا حَتَّى لَا نُعَرِّضَ أَصْحَابُنَا لِلرَّذَى ، وَلَا نُنْقِ بِهَمِّ
إِلَى التَّهْلُكَةِ . »



فَقَالَ فَارِسُ جَرِيٌّ : « أَتَيْتُ لِي - يَا مَوْلَايَ - فُرْصَةً مَاجِدَةً ،
 لَعَلِّي أَثْبِتُ قَلْبًا مِنْ صَاحِبِي ، وَأَرْجِعُ عَقْلًا . فَإِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنَّ نِي قَادِرٌ
 عَلَى فَتْحِ أَبْوَابِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَتَى أُذِنَ لِي الْأَمِيرُ . »

فَقَالَ الْأَمِيرُ « إِقْبَالُ » :

« أَخْشَى أَنْ يَنَالَكَ مَا نَالَ صَاحِبِكَ . » ثُمَّ أذِنَ لَهُ

وَمَا إِنْ أَسْتَقَرَّ عَلَى السُّورِ ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَبَلِ مِثْلُ مَا ظَهَرَ
 عَلَى صَاحِبِهِ ؛ فَصَفَّقَ بِكَفَّيْهِ ، وَصَاحَ صَيْحَةً رَفِيقِهِ الْأَوَّلِ :

« لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ . هَآنَذَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ ، وَمِثْلُ بَيْنَ يَدَيْكَ . »

ثُمَّ قَذَفَ بِنَفْسِهِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ ، وَهَوَى إِلَى أَرْضِ الْمَدِينَةِ ،
 فَاخْتَلَطَ لِحْمُهُ بِعَظْمِهِ مِنْ فَوْرِهِ .

فَلَمْ يَنْ مَضْرَعُهُمَا مِنْ عَزِيمِ إِخْوَانِهِمَا عَنْ مُتَابَعَتِهِمَا . وَتَهَاوَتَا : وَاحِدًا

بَعْدَ الْآخِرِ ، يُلْحِقُونَ فِي إِجْزَارِ مَا عَجَزَ عَنْهُ غَيْرُهُمْ ، وَكَلَّمَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ

أَقْدَرُ مِنْ سَبْقِهِ ، وَأَجْدَرُ بِالْفَوْزِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى هَلَكَ مِنْهُمْ

جُمْهُورٌ كَبِيرٌ . وَلَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى السُّورِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَهُ

غَيْرُهُ ، ثُمَّ يَلْقَى مَضْرَعَهُ مِنْ فَوْرِهِ .

٧ - قائد الجيش

فَأَنْبَرَى قَائِدُ الْجَيْشِ قَائِلًا : « مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ
وَلَنْ تَرَى مِنِّي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - غَيْرَ مَا يَسْرُكَ . »

فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ « إِقْبَالَ » ، وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْجَزَعُ :

« هَيْهَاتَ أَنْ آذَنَ لَكَ بِذَلِكَ . كَلَّا ، لَنْ أُمَكِّنَكَ مِنْ هَذِهِ
الْمُحَاوَلَةِ الْجَرِيئَةِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرْتَ لَكَ عَاقِبَتُهَا . وَأَنْتَ قَائِدُ الْجَيْشِ
وَمُرْشِدُهُ ، وَلَنْ يُطَاوَعَنِي قَلْبِي عَلَى أَنْ أُعَرِّضَكَ لِلْمَوْتِ بَعْدَ أَنْ
رَأَيْتَ مَصَارِعَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ مِنْ أَشْجَعِ فُرْسَانِنَا الْمُدْرَبِينَ . »

وَطَالَ الْجِوَارُ وَالْجِدَلُ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَقَائِدِ الْجَيْشِ ، ثُمَّ انْتَهَى رَأْيُ الْأَمِيرِ
إِلَى إِجَابَةِ الْقَائِدِ : ثِقَّةٌ بِحِزْمَةِ أَمْرِهِ ، وَرَجَاحَةٌ عَقْلِهِ ، وَرَبَاطَةٌ جَاشِيَةٍ .

وَارْتَقَى الْقَائِدُ السُّلَّمُ ، وَقَلْبُهُ مُمْتَلِيٌّ بِيَقِينًا وَإِيمَانًا بِنَجَاحِ مَسْعَاهُ ؛ حَتَّى
بَلَغَ أَعْلَى السُّورِ . وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى شَخَّصَ بِنَصْرِهِ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ
الِاضْطِرَابِ ، وَصَاحَ كَمَا صَاحَ أَصْحَابُهُ مِنْ قَبْلُ : « لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ .
هَآنَذَا حَاضِرٌ إِلَيْكَ ، وَمَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ . » ثُمَّ قَذَفَ بِنَفْسِهِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ ،
وَهَوَى إِلَى الْأَرْضِ كَمَا هَوَى أَصْحَابُهُ مِنْ قَبْلُ .

الفصل الثاني

١ - فاتح المدينة

فَلَمَّا رَأَى الْأَمِيرُ « إِقْبَالَ » مَصَارِعَ أَتْبَاعِهِ ، وَهَلَاكَ قَائِدِ جَيْشِهِ ؛
أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُقْلِعُوا عَنْ مُحَاوَلَتِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : « مَا لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرِي . »
فَارْتَاعَ أَصْحَابُ الْأَمِيرِ وَجَزِعُوا ، وَتَفَزَّعُوا مِمَّا سَمِعُوا ، وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ
ضَارِعِينَ أَنْ يَكْفَ عَنْ هَذِهِ الْمُخَاطَرَةِ ، وَقَالُوا لَهُ مُسْتَعْظِفِينَ :

« تَرَفَّقْنَا بِهَا أَيْهَا الْأَمِيرُ ، فَإِنَّ حَيَاتِنَا رَهْنٌ بِحَيَاتِكَ ، وَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى
الْبَقَاءِ بَعْدَكَ ، فَأَنْتَ دَلِيلُنَا وَرَائِدُنَا ، وَهَادِينَا وَمُرْشِدُنَا . »
فَقَالَ الْأَمِيرُ : « لَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أُدْرِكَ هَذِهِ الْغَايَةَ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهَا ،
وَلَنْ يَشْنِيَنِي عَنْ مُبْلُوغِهَا شَيْءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

فَلَمَّا رَأَوْا إِصْرَارَ الْأَمِيرِ عَلَى عَزْمِهِ ، وَعَجَزَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَةِ إِرَادَتِهِ ،
كَفُّوا عَنْ إِلْحَافِهِمْ ، وَاتَّجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِدُعَائِهِمْ وَرَجَائِهِمْ .
وَارْتَقَى الْأَمِيرُ دَرَجَاتِ السُّلْمِ الْعَالِي حَتَّى بَلَغَ ذِرْوَتَهُ . وَمَا كَادَ يَسْتَقِرُّ
عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ حَتَّى اسْتَخَفَّهُ الْفَرَّحُ ، فَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ إِعْجَابًا ، وَشَخَّصَ

يَبْصِرُهُ إِلَى الْفَضَاءِ مُتَأَمِّلاً . فَجَزِعَ أَصْحَابُهُ مِمَّا رَأَوْا ، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ أَمِيرَهُمْ
سَيَلْحَقُ بِمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْهَالِكِينَ ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ قَازِفٌ بِنَفْسِهِ مِنْ أَعْلَى
السُّورِ الشَّاهِقِ . فَتَعَالَى صُرَاخُهُمْ ، وَأَنْطَلَقُوا بِصِيحُونَ مَدْعُورِينَ :

« رُحْمَاكَ اللَّهُمَّ رُحْمَاكَ ! تَرَفَّقْ بِنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَلَا تُتَلِقْ بِنَفْسِكَ
إِلَى التَّهْلُكَةِ فَنُصْبِحَ بَعْدَكَ مِنَ الْهَالِكِينَ . »

وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، وَتَغَلَّبَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى الطَّيْشِ ، وَانْتَصَرَ الْعَقْلُ عَلَى
السُّحْرِ . فَجَلَسَ الْأَمِيرُ سَاعَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ؛
فِي لَهْجَةٍ الْوَائِقِ ، الثَّابِتِ الْعَزْمِ :

« لَا تَخَافُوا عَلَيَّ ، وَلَا تَهِنِ عَزَائِمُكُمْ أَيُّهَا الرَّفَاقُ ، وَلَنْ تَرَوْا إِلَّا
مَا يَسُرُّكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَقَدْ صَرَفَ اللَّهُ عَنِّي كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَمَكْرَهُ . »
وَجَلَسَ الْأَمِيرُ قَلِيلًا يُفَكِّرُ فِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ نَهَضَ قَائِمًا .

٢ - الْجَوَارِي الْعَشْرُ

أَيُّهَا الصَّدِيقُ الصَّغِيرُ :

أَتَعْرِفُ مَاذَا رَأَى الْأَمِيرُ حِينَ وَقَفَ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ ؟
لَقَدْ شَهِدَ مَا لَمْ يَشْهَدْهُ إِنْسَانٌ ، وَرَأَى أَعْجَبَ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنَانِ ،

وَسَمِعَ أَغْرَبَ مَا سَمِعْتُهُ أُذُنَانِ : رَأَى عَشْرَ جَوَارٍ ، كَأَنَّهِنَّ الْأَقْمَارُ ، يُسْرِنَ
بَأَيْدِيهِنَّ إِلَيْهِ ، وَيُنَادِيَنَّهُ قَائِلَاتٍ : « تَعَالِ إِلَيْنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَظِيمُ ! »
وَوَخِيلَ إِلَيْهِ أَنْ تَحْتَهُ بَحْرًا مِنْ الْمَاءِ دَانِيًا مِنْهُ (قَرِيبًا) ، فَهَمَّ أَنْ يَفْعَلَ
كَمَا فَعَلَ مَنْ سَبَقَهُ ، فَرَأَى أَصْحَابَهُ صَرَخِي . فَثَابَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ ، وَأَدْرَكَ
أَنْ مَا يَرَاهُ خِدَاعٌ سَاحِرٍ ، فَاسْتَمْسَكَ ، وَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يُلْقِ بِنَفْسِهِ .
وَهَكَذَا رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتَهُ ، وَتَجَلَّى لَهُ أَنْ مَا رَأَاهُ لَمْ يَكُنْ
إِلَّا مَكِيدَةً دَبَّرَهَا سَاحِرٌ بَارِعٌ ، لِيُرَدَّ عَنِ الْمَدِينَةِ كُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ اقْتِحَامَهَا ،
وَيَرُومُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا . وَهَكَذَا رُفِعَتِ الْغِشَاوَةُ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وَتَكَشَّفَ لَهُ هَوْلُ
مَا كَانَ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ . وَزَالَ عَنْهُ كَيْدُ الْكَائِدِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهُ — سُبْحَانَهُ —
عَلَى مَا أَنْارَ لَهُ مِنْ طَرِيقٍ ، وَيَسَّرَ لَهُ مِنْ رُشْدٍ وَتَوْفِيقٍ ؛ فَقَدْ شَاءَتْ رَحْمَتُهُ
بِالْأَمِيرِ أَنْ يُبَصِّرَهُ بِمَوْقِعِ الْخَطَرِ ، فَاعْتَبَرَ بِمَصْرَعِ أَصْحَابِهِ .
وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ !

٣ - الطَّلَسْمُ

وَمَشَى الْأَمِيرُ عَلَى الشُّورِ بِضَعِ خُطَوَاتٍ ، فَرَأَى بُرْجًا عَالِيًا مِنَ النُّجَاسِ ،
لَهُ بَابٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ (الْخَالِصِ) ، مَفْتُوحٌ عَلَى مِصْرَاعِيهِ . وَحَانَتْ مِنْهُ

التفاته فرأى في وسط الباب صورة فارسٍ من نحاسٍ ، له كفٌ ممدودةٌ
كأنما تشيرُ إلى لوحٍ مكتوبٍ . فقرأه الأميرُ ؛ فإذا فيه :

« مرحباً بك أيها الأميرُ العظيمُ . مرحباً بك يا مُخلصَ مدينةِ النحاسِ ،
وواهبَ الحريةِ لمن فيها من الناسِ .

تأملِ الزُّنْبُوكَ الَّذِي تراهُ في صدرِ الفارسِ ، وأدرهُ اثنتي عشرةَ دورةً ،
ثمَّ افركِ المسمارَ اللوحيَّ الَّذِي بجانبه اثنتي عشرةَ مرةً . »

٤ - مفاتيحُ المدينةِ

فتعجبَ الأميرُ مما رأى . وما إن أتمَّ قراءةَ وصيةِ الطَّلسمِ حتى انفتحَ
أمامه بابٌ صغيرٌ في الحالِ ، سُمِعَ له صوتٌ خافتٌ ، فدخلَ منه سالِكاً
دهليزاً طويلاً ، انتهى به إلى سلمٍ نحاسيٍّ صغيرِ الدَّرَجِ ، فهبطَ منه بضعَ
درَكَاتٍ ، فرأى رَدْهةً اصطفَّتْ فيها الأرائكُ ، يجلسُ عليها حُرَّاسٌ ،
أشداءُ أقوياءُ كاملو العتادِ ، في أيديهمُ السيوفُ المرهفةُ ، والقسيُّ المؤترةُ ،
والسهمُ المفقوةُ . فابتدأهمُ بالتَّحِيَّةِ والسَّلَامِ ، فلمْ يردَّ عليه أحدٌ . فحسبهمُ
نائمينَ ، وقالَ في نفسه : « لعلَّ مفاتيحَ المدينةِ عندَ هؤلاء ! »

ثمَّ أدارَ لحاظه ، فرأى رجلاً مهيبَ الطَّلعةِ ، رائعَ السَّمْتِ ، باديَ

الفتوة ، شديد البأس والقوة ، وهو على أريكة عالية . فقال الأمير :

« لعل هذا صاحب مفاتيح المدينة » وحيّاه ، فلم يجبه .

وحانت منه التفاتة ، فرأى على قيد (مسافة) خطوات منه أريكة عليها رجل قاعد ، وفي ذراعه سلسلة من النحاس الأصفر ، فيها أربعة عشر مفتاحاً . فعرف أنه بواب المدينة . فدنا منه الأمير وسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام . فسلم عليه ثانية وثالثة ، فلم يجب بشيء ، فوضع يده على كتفه وقال متعجباً : « ما بالي لا أسمع من أحدٍ ردّ تحييتي ! أنايم أنت كاصحابك أم أصم ؟ » فلم يجبه بشيء ولم يتحرك . فتأمله الأمير فاحصاً ؛ فإذا هو تمثال من النحاس لا حراك به . فقال الأمير :

« هذا أعجب ما رأيت . إنه تمثال رائع الصنع ، لإنسان يذبض بالحياة ، ولا يعوزه غير النطق . وما أظن أصحابه إلا كذلك . »

ثم أخذ المفاتيح ميمماً باب المدينة ، وفتح الأقفال ، ورفع المزيج ، وأزاح المتاريس ، وجذب الباب جذبة قوية ، فانفتح في جلبة وقعقة .

ففرح جنوده بنجاحه ، وتعالّت صيحات الإعجاب والإكبار ، والفرح والاستبشار ، بما ظفر به الأمير ؛ من فوز كبير ، حامدين الله على نجاح مسعاه .



الفصل الثالث

١ - بين الجيش وأميره

وَحَشِيَ الْأَمِيرُ أَنْ يَتَعَرَّضَ جَيْشُهُ لِلْخَطَرِ إِذَا دَخَلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الْمَسْحُورَةَ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِهَا؛ فَأَمَرَ جَيْشَهُ بِالْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَرْتَادَ أَسْوَاقَهَا، وَيَتَعَرَّفَ خَبَايَاهَا وَأَسْرَارَهَا. فَإِذَا اطْمَأَنَّ عَلَى سَلَامَةِ جَيْشِهِ؛ أَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ. وَحَشِيَ أَصْحَابُ الْأَمِيرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ أَمِيرُهُمْ لِلْخَطَرِ إِذَا دَخَلَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ الْمَسْحُورَةَ. وَضَاعَفَ مِنْ خَوْفِهِمْ عَلَيْهِ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ مَصَارِعِ إِخْوَانِهِمْ، وَقَائِدِهِمْ. فَرَاخُوا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْفَى عَنْ مُحَاوَلَتِهِ، وَأَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ - أَوْ لِمَنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ - فِي ارْتِيَادِ الْمَدِينَةِ قَبْلَهُ؛ لِيَجَنَّبَهُ الْأَخْطَارَ. وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ أَصْرَّ عَلَى رَأْيِهِ، وَأَصَمَّ أذُنَيْهِ عَنِ رَجَائِهِمْ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يَفْدِيَ جَيْشَهُ بِنَفْسِهِ؛ فَلَمْ يَسْمَعْهُمْ غَيْرَ الْخُضُوعِ لِرَأْيِهِ.

٢ - فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ

وَمَشَى الْأَمِيرُ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ بِضَعِ خُطُواتٍ، فَرَأَى رَجُلًا وَاقِفًا عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَيَمُدُّ يَدَهُ بِالتَّحِيَّةِ فِي بَشَاشَةٍ وَلُطْفٍ؛ فَأَسْرَعَ الْأَمِيرُ إِلَى تَحِيَّتِهِ، وَمَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ، فَوَجَدَهُ جَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ. وَتَأَمَّلَهُ فَإِذَا هُوَ تَمَثَالٌ مِنَ النُّحَاسِ.

وَمَشَى الْأَمِيرُ خُطُواتٍ قَلِيلَةً ،
فَرَأَى جَمَاعَةً يَتَشَاجِرُونَ ، وَقَدْ
أَمْسَكَ بَعْضُهُمْ بِتَلَايِبِ رَجُلٍ ،



فَأَسْرَعَ إِلَيْهِمْ ، لِيُخَلِّصَهُ مِنْهُمْ ، فَوَجَدَهُمْ جَمِيعًا تَمَائِيلَ جَامِدَةً .
 ثُمَّ مَشَى فِي الْمَدِينَةِ بِضَعِ خُطُواتٍ ، فَرَأَى رَجُلًا واقِفًا فِي عُرْضِ
 الطَّرِيقِ ، فدَنَا مِنْهُ لِيَتَأَمَّلَهُ ، فإذا هُوَ تَمثالٌ لا حَرَكَةَ بِهِ . فاشتَدَّ
 بِالأميرِ العَجَبُ ، وَاسْتَأْنَفَ سَيْرَهُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى كُلَّ مَنْ
 وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ عَيْنَاهُ لا يَنْطِقُونَ وَلا يَتَحَرَّكُونَ . وَقابلَ عَجُوزًا عَلَى رَأْسِهَا
 أَثُوابٌ اشترتها مِنْ دُكَّانِ ثُوابٍ ، فدَنَا مِنْهَا ، وَتَأَمَّلَهَا ، فلمْ يَرِ أَمامَهُ غَيْرَ
 تَمثالٍ . وَرَأَى جَمَهْرَةً مِنْ نِساءٍ وَصِبيانٍ وَأَطْفالٍ ، وَشبابٍ وَكُهولٍ ،
 وَصَبايا وَعَجايزَ لَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَحَرَّكُ أَوْ يَتَكَلَّمُ ، فَهَمَّ تَمائِيلُ لا تُشِيرُ
 بِطَرْفٍ (بِعَيْنٍ) ، وَلا تَنْطِقُ بِحَرْفٍ .

٣ - أسواقُ المدينةِ

وَاسْتَأْنَفَ الأميرُ سَيْرَهُ ، فَوَجَدَ أسواقًا أَرْبَعًا ، فدَخَلَهَا - وَاحِدَةً بَعْدَ
 الأُخرى - فَوَجَدَ كُلَّ مَنْ فِيها مِنْ حَيوانٍ وَناسٍ ، تَمائِيلَ مَصْبُوبَةً
 مِنْ النُّحاسِ .

هَذِهِ دُكاكينُ الصُّنَّاعِ وَالتُّجارِ مَفْتُوحَةَ الأَبوابِ ، مَعْرُوضَةَ السِّلْعِ ،

مَصْفُوقَةٌ الْبَضَائِعِ ، مُعَلَّقَةٌ الْمَوَازِينِ ، أَصْحَابُهَا وَزَائِرُوهَا تَمَائِيلٌ لَا تَعِي
وَلَا تَنْطِقُ .

هَذَا حَدَادٌ فَارِعٌ الطُّولِ ، مَفْتُولٌ السَّاعِدَيْنِ ، يَفِيضُ نَشَاطًا وَقُوَّةً ،
وَقَدْرَ فَعٍ مِطْرَقَتُهُ لِيَهْوِيَ بِهَا عَلَى السَّنْدَانِ ، فَبَقِيَتْ ذِرَاعُهُ مَمْدُودَةً ، وَمِطْرَقَتُهُ
مُعَلَّقَةٌ فِي الْفِضَاءِ ، وَأَمَامَهُ صَبِيهَةٌ نَافِخُ الْكَبِيرِ ، جَامِدٌ كَمُعَلَّمِهِ .

وَهَذَا نَجَّارٌ يَشُقُّ لَوْحًا كَبِيرًا بِمِنْشَارِهِ ، وَقَدْ بَلَغَ مُنْتَصَفَهُ ، وَوَقَفَ حَيْثُ
هُوَ لَا حَرَكَتَ بِهِ .

وَذَلِكَ زَيَّاتٌ نَصَبَ مِيزَانَهُ ، وَأَمَامَهُ الْبَضَائِعُ مِنْ جُبْنٍ وَزَيْتُونٍ ، وَمَا
إِلَى ذَلِكَ ، هَامِدًا لَا يَتَحَرَّكُ . وَهَذَا تَيَّانٌ يَبِيعُ الثَّنِينَ ، وَتَمَّارٌ يَبِيعُ الثَّمَرَ
(الْبَلَحَ) وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمَا فَكِهَانِيٌّ يَبِيعُ الْفَاكِهَةَ ، يَلِيهِ دَقِيقِيٌّ يَبِيعُ
الدَّقِيقَ .

وَمَشَى خُطُواتٍ قَلِيلَةً فَرَأَى جَدًّا لَا يَبِيعُ الطُّيُورَ ، وَجَزَّارًا يَبِيعُ اللَّحْمَ ،
وَرَدَّاسًا يَبِيعُ الرُّءُوسَ ، وَسَمَّانًا يَبِيعُ السَّمْنَ ، وَدَهَّانًا يَبِيعُ الدُّهْنَ ، وَبَيَّاضًا
يَبِيعُ الْبَيْضَ ، وَجَبَّانًا يَبِيعُ الْجُبْنَ ، وَعَسَّالًا يَبِيعُ الْعَسَلَ ، وَخَبَّازًا
يَبِيعُ الْخُبْزَ .

ثم سار الأمير إلى سوق ثابئة، فرأى دكاكين البزازين والثوابين مملوءة بأنواع الثياب، من القطن والكتان، والنخز والحريير، والديباج المنسوج بالذهب الأحمر والفضة البيضاء، وما إليها من مختلف الثياب.

ورأى الفرّائين يبيعون الفراء، والوشائين يعملون الوشي، والرفائين يرفأون الثياب، والهدّابين يفتلون الخيط، والنجّادين يخيطون الفرش والوسائد، والكوّائين يكوون الثياب، والأبارين يصنعون الإبر، والنسّاجين ينسجون الثياب، والحذّائين يصنعون الأحذية، وإلى جانبهم طائفة من الصّبّاعين والدّبّاعين.

ثم انتقل الأمير إلى سوق ثابئة، فرأى جماعة من الصّياغ وتجار اللؤلؤ وأمامهم نفائس الأحجار الكريمة كالياقوت والزمرّد والمرجان (صغار اللؤلؤ)، وكلّهم — بين واقف وجالس — ساكن لا يتحرك ولا ينطق.

ورأى الزّجاجين يصنعون الزّجاج، والخزّافين يبيعون الخزف، والفخّارين يصنعون أواني الفخّار، والجلّائين يجلون الآنية، والمواجين يبيعون العاج، والسّكاكين يعرضون السّكاكين، والشّعّابين يصلحون ما تصدّع من الأواني.



وَمَشَى خُطُواتٍ قَلِيلَةً فَرَأَى صَيْدَلِيًّا يَبِيعُ الْأَدْوِيَةَ، وَإِلَى جِوَارِهِ مُجَبَّرًا
يَجْبُرُ الْعِظَامَ الْمَكْسُورَةَ . وَأُنْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى السُّوقِ الرَّابِعَةِ حَيْثُ
وَجَدَ النَّحَّاسِينَ يَبِيعُونَ الدَّوَابَّ : فَهَذَا مَعَازُ يُصْحَبُ مَعِيزَهُ، وَذَلِكَ كَلَّابُ
مَعَهُ كِلَابُهُ، وَمِنْ بَعْدِهَا شَأْنِي يُصْحَبُ شَأَهُ وَنِعَاجَهُ .

وَمَا زَالَ الْأَمِيرُ يَنْتَقِلُ مِنْ سُوْقٍ إِلَى سُوْقٍ، وَمِنْ طَرِيقٍ إِلَى طَرِيقٍ،
فَلَا يَرَى إِلَّا رَوَائِعَ مِنَ التَّمَائِلِ النَّحَّاسِيَّةِ، حَيَوَانِيَّةً وَإِنْسَانِيَّةً .

٤ - حَيْرَةُ الْأَمِيرِ

شَدَّ مَا أَدْهَشَهُ وَحَيْرَ عَقْلَهُ إِلَّا يَرَى فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا أَحَدًا مِنَ الْأَحْيَاءِ !
وَاعْجَبًا ! أَلَيْسَ فِيهَا مَنْ يَنْطِقُ أَوْ يُجِيبُ !
يَا لَعْرَابَةَ مَا يَشْهَدُ ! حَتَّى الْكِلَابُ وَالْقِطَطَةُ وَسَائِرُ الطُّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ
كُلُّهَا تَمَائِلُ هَامِدَةٌ مِنَ النَّحَّاسِ، فَاقِدَةُ الْحَيَاةِ ! يَا لَهْوَلِ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ أَلَّا كُلُّ
مَا فِي الْمَدِينَةِ تَمَائِلُ لَا حَرَكَةَ بِهَا وَلَا حِسَّ، لَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنَابَتَيْهَا نَفْسٌ ؟
تُرَى : أَيُّ سَاحِرٍ غَضِبَ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَسَلَّطَ نِقْمَتَهُ عَلَى أَهْلِهَا،
وَمَسَخَ سَاكِنِيهَا ؛ فَحَوَّلَ أَجْسَادَ مَنْ فِيهَا مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَنَاسٍ، تَمَائِلَ مُبَدَعَةً
مِنَ النَّحَّاسِ ؛ تُخَيَّلُ لِرَأْيِهَا أَنَّهَا تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ . وَلَكِنَّ أَصْحَابَهَا
لَا يَتَحَرَّكُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ، يُسَائِلُهُمْ فَلَا يُجِيبُونَ، وَيُحَاوِرُهُمْ فَلَا يَنْطِقُونَ .

الفصل الرابع

١ - في القصر الملكي

وما زال الأمير يتنقل من مكان إلى مكان حتى انتهى به السير إلى قصر علي البنيان ، رائع التصاوير . فلما دخله رأى جماعة من الجنود والحرس يقفون على الأبواب ، وخلفهم جماعة أخرى جالسين على أرائك فاخرة ، صفت عليها الوسائد الحريرية ، موشاة بأجمل النقوش ، وقد ارتدوا أبهى الثياب ؛ يخيلون إليك أن دم الحياة يجري في عروقهم ، فإذا دأبتهم وجدتهم تماثيل جامدة .

ومشى في جنبات القصر ، فرأى قاعةً فسيحةً يجلس عليها وزراء الدولة وأمرائها . وحانت منه التفاتة فأبصر في صدر المجلس كرسيًا من الذهب الإبريز مرصعًا بأنفس الحجارة الكريمة ، وقد جلس فيه الملك في أفخم حله ، ورأى على مفرقه تاجًا مكللًا بنفيس الدرّ وثمان اللآليء ، تشع منها الأضواء ، فتجيل الظلام نورًا .

ثم ذهب إلى قاعة أخرى ، فرأى طائفة من الجوارى والوصائف ، حول ملىكتهن ، لتلقى إشارتها ، متأهبات لتنفيذ رغبتها .

وَعَجِبَ الْأَمِيرُ مِنْ بَرَاعَةِ الْمُهَنْدِسِينَ ، وَافْتِنَانِهِمْ فِي هَنْدَسَةِ الْقَصْرِ وَنَقْشِهِ ،
وَتَنْسِيقِ أَثْنَاهِ وَفَرَشِهِ ، وَرَوْعَةِ تَصَاوِيرِهِ ، وَسَنَا مَصَابِيحِهِ الْبَلُّورِيَّةِ ،
وَتُرِيَّاتِهِ الْمُتَأَلِّقَةِ بِنَفَائِسِ مِنَ الدَّرِّ الْيَتِيمِ (النَّادِرِ) .

٢ - حوارُ الأميرين

وَاسْتَأْنَفَ سَيْرَهُ مُتَنَقِّلاً مِنْ عَجَبٍ إِلَى عَجَبٍ ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَاعَةٍ
فَاخِرَةٍ ، فَرَأَى فَتَاةً جَمِيلَةً الْمُحْيَا ، مُشْرِقَةَ الطَّلَعَةِ - تَقْرَأُ فِي كِتَابٍ -
وَمَا إِنَّ لَمَحْنَهُ ، حَتَّى خَفَّتْ إِلَيْهِ تَسْتَقْبِلُهُ ، وَتَبْتَدِرُهُ بِالتَّحِيَّةِ فِي أَدَبٍ
وَاحْتِرَامٍ ، وَتُنَادِيهِ بِاسْمِهِ مُرَحَّبَةً بِهِ ، فَرَحَانَةً بِمَقْدَمِهِ . فَاسْتَدَّ عَجَبُ الْأَمِيرِ
مِمَّا رَأَى وَسَمِعَ ، فَقَالَ لَهَا مَذْهُوشًا : « كَيْفَ عَرَفْتَنِي ، وَنَادَيْتَنِي بِاسْمِي ؟ »
فَقَالَتْ لَهُ مُبْتَسِمَةً : « لَا تَعْجَبْ مِمَّا تَرَى وَتَسْمَعُ ؛ فَإِنَّا أَتَرَقَّبُ قُدُومَكَ مِنْذُ
زَمَنِ طَوِيلٍ . » فَقَالَ لَهَا مُتَحَيِّرًا : « تَتَرَقَّبِينَ قُدُومِي ؟ كَيْفَ ! وَمَنْ أَنْبَأَكَ
عَنِّي ؟ وَمَا بَالُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَدْ مَسِيخَ سَاكِنُوهَا ، وَتَحَوَّلَ قَاطِنُوهَا تَمَائِيلَ
مِنَ النُّحَاسِ ، وَبَقِيَتْ أَنْتِ وَحَدُوكِ سَالِمَةً بِنَجْوَةٍ مِمَّا لَحِقَ أَهْلِيهَا مِنْ
الْمَسِيخِ !؟ أَيُّ الْغَازِ أَرَى وَأَحَاجِي ؟ » فَقَالَتْ لَهُ الْفَتَاةُ مُتَلَطِّفَةً : « هَا نَذِي
أَفْضَى إِلَيْكَ بِمَا تُرِيدُ مِنْ أَنْبَاءٍ ؛ إِذَا تَفَضَّلْتَ بِالْجُلُوسِ ، وَأَعَرْتَنِي



سَمَعَكَ وَانْتِبَاهَكَ . « فَقَالَ لَهَا :

« مَا أَشَوْقَنِي إِلَى تَعْرِفِ أَسْرَارِ مَا رَأَيْتُ مِنْ الْأَغَاذِرِ وَمُعَمِّيَاتِ ! »

٣ - حَدِيثُ « رَائِعَةُ »

فَأَنْشَأَتِ الْفَتَاةُ تَقُولُ : « تَسْأَلُنِي مَنْ أَكُونُ ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتُ اسْمَكَ ، وَتَرَقَّبْتُ قُدُومَكَ ؟ وَمَا سِرُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ؟ وَلِمَاذَا مُسِخَ أَهْلُهَا وَبَقِيَتْ وَحَدِي نَاجِيَةٌ مِنَ السَّحْرِ ؟ فَاعْلَمْ - يَا سَيِّدِي الْأَمِيرَ الْجَلِيلَ - أَنَّنِي « رَائِعَةُ » بِنْتُ مَلِكِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ أَبِي وَهُوَ جَالِسٌ فِي صَدْرِ دِيْوَانِهِ ، وَأَنْتَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِكَ إِلَيَّ . وَقَدْ كَانَ ذَائِعَ الصَّيْتِ بَيْنَ مُلُوكِ « الْهِنْدِ » . وَكَانَ لَنَا جَارٌ أَسْمُهُ « مَرْمُوشٌ » يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ . فَمَرَّ بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ - ذَاتَ يَوْمٍ - نَاسِكٌ مِنْ كِبَارِ النَّسَاكِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْقِنَاعَةِ وَالزُّهْدِ ، وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَسَعَةِ الْعِلْمِ ، فَلَمْ يَقْصُرْ فِي إِرْشَادِ النَّاسِ وَتَنْوِيرِ بَصَائِرِهِمْ ، وَلَمْ يَأَلُ جُهْدًا فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ ، وَتَنْفِيهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، الَّتِي لَا تَمْلِكُ لَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا . فَالْتَفَّ حَوْلَهُ النَّاسُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ، الْمُرِيدُونَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عُرِفَ أَمْرُهُ ، وَذَاعَ صَيْتُهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمْعِ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ بِاسْتِدْعَائِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، سَأَلَهُ عَمَّا نَمَى إِلَيْهِ . فَلَمْ

يَكْتُمُهُ النَّاسِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَتَلَطَّفُ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ .

فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِمَّا سَمِعَ ، وَتَعَجَّبَ مِنْ جُرْأَةِ النَّاسِكِ ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْعِقَابِ إِذَا لَمْ يَكْفَ عَنْ هَذْيَانِهِ ، وَيُقْلِعَ عَنْ عِنَادِهِ . فَلَمْ يَسْتَجِبِ النَّاسِكُ لِوَعِيدِهِ ، وَلَمْ يُبَالِ بِتَهْدِيدِهِ .

فَاشْتَدَّ غَضَبُ « مَرْمُوشٍ » عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِسِجْنِهِ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةِ لِإِحْرَاقِهِ حَيًّا . وَهَيَّأَ لَهُ نَارًا جَاحِمَةً وَسَطَ الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ ، لِيُشْهَدَ النَّاسُ جَزَاءَهُ عَلَى مَا أَبْدَاهُ مِنْ صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِي دَعْوَتِهِ . وَذَاعَتْ قِصَّةُ النَّاسِكِ فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِيَرَوْا مَصْرَعَهُ . فَلَمَّا سُعِرَتِ النَّارُ وَتَهَيَّأَ الْجُنْدُ ، وَاسْتَعَدُّوا لِإِلْقَاءِ النَّاسِكِ فِي أَتُونِهَا الْمُتَلَهِّبِ ، غَامَتِ السَّمَاءُ فَجَاءَةً ، وَبَرَقَ الْبَرْقُ ، وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ ، ثُمَّ هَمَّتِ الْأَمْطَارُ سَيُولًا ، فَأَطْفَأَتِ النَّارَ ، وَسَادَ الْهَرَجُ وَالْمَرْجُ ، وَتَدَافَعَ النَّاسُ إِلَى يُيُوتِهِمْ حَتَّى لَا تَعْرِقَهُمُ السُّيُولُ الْمُتَدَفِّقَةُ . وَهَكَذَا أُتِيحَتِ الْفُرْصَةُ لِلنَّاسِكِ الصَّالِحِ فَأَمَّا كَيْفَهُ مِنَ الْفِرَارِ .

وَبَعْدَ سَاعَاتٍ صَحَا الْجَوُّ وَانْقَشَعَ الْمَطَرُ ، وَبَحَّتِ الْجُنُودُ عَنِ النَّاسِكِ ، فَلَمْ يَعْتَرُوا لَهُ عَلَى أَثَرٍ . وَمَشَى النَّاسِكُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بِلَادِ « التُّبَّتِ » يُوَاصِلُ

السَّيْرَ لَيْلَ نَهَارٍ حَتَّى بَلَغَ مَدِينَتَنَا . وَكَانَ أَبِي يَسْمَعُ بِصَلَاحِهِ ، وَيُعْجَبُ
بِتَقْوَاهُ . فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى أَبِي بِقِصَّتِهِ ، اسْتَقْبَلَهُ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ ، وَرَحَّبَ بِهِ
وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ . فَلَبِثَ النَّاسِكُ عِنْدَنَا أَيَّامًا قَلِيلًا ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ أَبِي فِي
اسْتِئْثَافِ السَّفَرِ عَائِدًا إِلَى بَلَدِهِ .

فَتَشَبَّثَ بِهِ أَبِي ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ عِنْدَهُ . فَتَلَطَّفَ النَّاسِكُ فِي
الاعْتِذَارِ إِلَيْهِ ، وَمَا زَالَ يُلْحِفُ فِي الرَّجَاءِ ، حَتَّى أُذِنَ لَهُ أَبِي فِي السَّفَرِ ، عَلَى كُرْهِ
مِنْهُ . وَكَأَنَّما خَشِيَ النَّاسِكُ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى مَكَانِهِ عُيُونُ الْمَلِكِ « مَرْمُوشٍ »
فَيَشْتَبِكَ كِلَاهُمَا فِي حَرْبٍ طَاحِنَةٍ مِنْ جَرَّائِهِ . وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا خَشِيَهُ النَّاسِكُ .
فَإِمْ يَنْقُضُ عَلَى سَفَرِهِ زَمَنٌ قَلِيلٌ حَتَّى وَقَدَّ عَلَى أَبِي رَسُولٌ مِنْ « مَرْمُوشٍ »
عَابِدِ الْأَصْنَامِ ، يَتَوَعَّدُهُ فِيهِ بِالْحَرْبِ إِذَا لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ النَّاسِكُ الَّذِي
حَلَّ بِمَدِينَتِهِ ضَيْفًا . وَغَضِبَ أَبِي مِنْ جُرْأَةِ جَارِهِ ، وَطَرَدَ رَسُولَهُ شَرَّ طَرْدَةٍ ؛
بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ أَنْ يُخْبَرَ مَلِيكَهُ أَنَّ النَّاسِكَ قَدْ سَافَرَ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَأَنَّه لَوْ بَقِيَ
عِنْدَهُ لَمَا قَبِلَ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ أَبِي يَعْرِفُ قُوَّةَ « مَرْمُوشٍ » وَشِدَّةَ بَأْسِهِ . فَأَعَدَّ لِلِقَائِهِ عُدَّتَهُ ،
وَحَصَّنَ مَدِينَتَهُ ، وَغَلَقَ أَبْوَابَهَا الْعَالِيَةَ ، وَأَعَدَّ الْعُدَّةَ لِرَدِّ عُدْوَانِ الْغَزَاةِ .

وَذَا صَبَاحٍ ، سَمِعْتُ صَوْتَ بُوقٍ عَالِيًا يُدَوِّي فِي الْفَضَاءِ ، فَيَكَادُ يُصَمُّ الْأَذَانَ .

فَخُيِّلَ إِلَيَّ - لِهَوْلِ مَا سَمِعْتُ - أَنَّ آخِرَةَ الْعَالَمِ قَدْ حَانَتْ . وَخَرَجْتُ أَمْشِي فِي أَنْحَاءِ الْقَصْرِ هَائِمَةً ؛ فَوَجَدْتُ كُلَّ مَنْ رَأَيْتُ - مِنْ وَصَائِفٍ وَوَصِيفَاتٍ ، وَنِسَاءٍ وَفَتَيَاتٍ - تَمَائِيلَ صُمَّا مِنَ النُّحَاسِ . فَأَسْرَعْتُ إِلَى دِيْوَانِ أَبِي أَسْتَجْلِي الْخَبَرَ ، فَرَأَيْتُهُ جَالِسًا مَعَ حَاشِيَّتِهِ وَسِرَاقِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكُلَّهُمْ تَمَائِيلُ نُحَاسِيَّةٌ . وَانْدَفَعْتُ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَأَسْوَاقِهَا ، فَلَمْ تَقْعُ عَيْنَايَ إِلَّا عَلَى تَمَائِيلِ نُحَاسِيَّةٍ . وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ مِصْدَاقَ مَا أَقُولُ ، وَشَهِدْتَ بَعَيْنِكَ ، وَأَبْصَرْتَ بِنَاضِرِكَ : كَيْفَ تَحَوَّلَتِ الْكِلَابُ وَالْقِطَطَةُ وَالْجِرْدَانُ وَالطُّيُورُ ، تَمَائِيلَ صُمَّا لَا تَسْمَعُ وَلَا تَتَحَرَّكُ !

وَقَضَيْتُ يَوْمًا رَاعِبًا ، وَلَيْلَةً سَاهِرَةً ، لِهَوْلِ مَا رَأَيْتُ . ثُمَّ غَلَبَنِي النَّوْمُ لِطُولِ مَا كَابَدْتُ مِنَ الضَّنِيِّ وَالسَّهْرِ ، فَرَأَيْتُ النَّاسِكَ يَزُورُنِي فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ ، وَرَبَّتْ كَتِفِي مُتَلَطِّفًا ، وَيَقُولُ لِي مُبْتَسِمًا : « لَا تَخَافِي يَا « رَائِعَةُ » وَلَا تَحْزَنِي ، فَلَنْ يُصِيبَكَ سُوءٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَسَيَكُونُ خَلَاصُكَ وَخَلَاصُ كُلِّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ صَالِحٍ شُجَاعٍ ، أَسْمُهُ الْأَمِيرُ « إِقْبَالُ » ؛ وَسَيَشْتَرِكُ مَعَهُ أَخُوكَ الْأَمِيرُ « فَاضِلُ » ، فِي كَشْفِ الْعُمَّةِ وَزَوَالِ السَّحْرِ

عَنْ الْمَدِينَةِ وَسَاكِنِيهَا . فَاصْبِرِي عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَلَا تَخْشَى أَنْ
تَهْلِكَ جُوعًا ؛ فَقَدْ بَقِيَتْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِ الْحَدِيقَةِ شَجَرَتَا تَيْنٍ
وَتَفَّاحٍ ، لَمْ تُمْسَا بِسُوءٍ . فَكُلِي مِنْهُمَا كَمَا جُعْتِ ، وَاشْرَبِي مِنَ النَّبْعِ الصَّافِي
الَّذِي يَسْقِيهِمَا ، وَاشْكُرِي اللَّهَ عَلَى مَا هَيَّا لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ وَفَوْزٍ بِالسَّعَادَةِ ،
وَاتَّجِهِي إِلَيْهِ ، وَأَخْلِصِي فِي عِبَادَتِهِ . »

وَكَانَ فِي قَصْرِنَا مَكْتَبَةٌ حَافِلَةٌ بِنَفَائِسِ الْمَخْطُوطَاتِ ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهَا
— وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْمِحْنَةُ قَدْ أَصَابَتْهَا — فَوَجَدْتُهَا كَمَا هِيَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .
فَكَانَ لِي فِي الْقِرَاءَةِ خَيْرُ عَزَاءٍ . »

فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ « إِقْبَالَ » حَدِيثِ الْأَمِيرَةِ ، اشْتَدَّ بِهِ الْعَجَبُ ،
وَسَأَلَهَا مُتَحِيرًا : « وَكَيْفَ نَجَوْتِ وَحَدِّكِ مِنْ سِحْرِ السَّاحِرِ ، فَلَمْ تَتَحَوَّلِي
تَمَثَالًا مِنَ النُّحَاسِ ، كَمَا تَحَوَّلَ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ طَيْرٍ وَحَيَوَانٍ وَنَاسٍ ؟ »

٤ - فَتَاةُ الْجِنِّ

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ : « لِذَلِكَ نَبَأٌ عَجِيبٌ ، أَنَا أَقْصُهُ عَلَى سَيِّدِي :
بَيْنَمَا كَانَتْ أُمِّي تَسِيرُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَحَدِ الْمُرُوجِ الْمُحِيطَةِ بِقَصْرِنَا الرَّيْفِيِّ ؛
إِذْ رَأَتْ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهَا حَيَّةً بَيْضَاءَ ، تَجِدُّ مُسْرِعَةً فِي الْهَرَبِ ،

وَحَلَفَهَا تُعْبَانُ أَسْوَدُ يَجْرِي فِي أَثَرِهَا مُسْرِعًا فِي الطَّلَبِ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ
يُدْرِكَهَا وَيُمْسِكَ بِرَأْسِهَا ، وَيَلْفَ ذَيْلَهُ عَلَى ذَيْلِهَا ، وَيُوشِكُ أَنْ يَفْتِكَ بِهَا .
فَأَسْرَعَتْ أُمِّي إِلَى نَجْدَةِ الْحَيَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَقَذَفَتِ الثُّعْبَانَ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ
فَحَطَّمَتْ رَأْسَهُ وَقَتَلَتْهُ عَلَى الْفَوْرِ . وَمَا كَانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهَا حِينَ رَأَتْ الثُّعْبَانَ
الْأَسْوَدَ يَتَحَوَّلُ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي مِثْلِ لَمِجِ الْبَصْرِ كَوْمَةً مِنْ رَمَادٍ ، وَتَنْتَفِضُ
الْحَيَّةُ الْبَيْضَاءُ ، فَإِذَا هِيَ فَتَاةٌ رَائِعَةُ الْجَمَالِ ، فِي رِيْعَانٍ صِبَاها ، وَمُقْتَبِلِ
شَبَابِها ، ثُمَّ تَقُولُ لِأُمِّي شَاكِرَةً : « هَيْهَاتَ أَنْ يَضِيعَ عِنْدِي ، يَا مَلِيكَةَ
الْإِنْسِ ، مَا أَسَدَيْتِ إِلَيَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ! وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ أَنْكَ أَنْقَذْتِنِي مِنْ
عَدُوِّي اللَّدُودِ بَعْدَ أَنْ أَوْشَكَ أَنْ يَهْلِكَنِي . وَلَعَلَّ اللَّهَ يُقَدِّرُنِي عَلَى رَدِّ الْجَمِيلِ
إِلَيْكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ . »

ثُمَّ أَشَارَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ بِيَدِهَا ، فَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ ، وَسُرْعَانَ مَا غَاصَتْ
فِيهَا وَاسْتَخَفَّتْ عَنِ الْأَنْظَارِ ، وَعَادَتِ الْأَرْضُ كَمَا كَانَتْ .

٥ - هَدِيَّةُ الْجِنِّيَّةِ

وَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ أَعْوَامٌ ، ثُمَّ حَضَرَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ إِلَى أُمِّي يَوْمَ
وَلَدَتْ أَخِي « فَاضِلًا » ، وَأَهْدَتْ إِلَى أُمِّي قَارُورَةً صَغِيرَةً مَلَأَتْهَا مِنْ نَهْرٍ

« عَبَقْرَ » ، وَأَوْصَتْهَا أَنْ تَمْزِجَ بِلَبِنِهَا قَطْرَاتٍ مِنْ مَائِهَا ، ثُمَّ تَسْقِيَ وَلِيدَهَا هَذَا
الْمِزَاجَ ، فَلَنْ تَفْرُغَ الزُّجَاجَةُ حَتَّى يُصْبِحَ الْوَلِيدُ آمِنًا مِنْ سِحْرِ كُلِّ سَاحِرٍ ،
وَكَيِّدِ كُلِّ كَائِدٍ .

فَشَكَرَتْ لَهَا أُمِّي هَدِيَّتَهَا ، وَاتَّبَعْتُ نَصِيحَتَهَا .

ثُمَّ جَاءَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ - يَوْمَ وَلَدَتْنِي أُمِّي - فَأَحْضَرَتْ لَهَا مِثْلَ الْقَارُورَةِ
الصَّغِيرَةِ الَّتِي أَحْضَرْتَهَا يَوْمَ وَلَدَ أَخِي ، وَأَوْصَتْهَا أَنْ تَسْقِيَنِي مِنْهَا ، كَمَا
سَقَتْ أَخِي مِنْ قَبْلُ .

وَقَدْ صَدَقَتْ فَتَاةُ الْجِنِّ فِيمَا قَالَتْ ؛ فَقَدْ مَسِخَ كُلُّ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ
إِنْسَانٍ ، وَطَيْرٍ وَحَيَوَانٍ ، وَنَجَوْتُ وَحْدِي مِنَ الْمَسِخِ ؛ بِفَضْلِ مَا شَرِبْتُ
مِنْ مَاءِ « عَبَقْرَ » .

وَمَا إِنْ أَتَمَّتِ الْأَمِيرَةُ حَدِيثَهَا حَتَّى أَقْبَلَ شَابٌّ بَادِيَ الْقُوَّةِ ، لَمْ يَشْكُ
الْأَمِيرُ حِينَ رَأَاهُ ، أَنَّهُ شَقِيقُ الْفَتَاةِ .

الفصل الخامس

١ - شقيق الأميرة

وَابْتَدَرَهُمَا الْفَتَى مُحِييًّا فِي ابْتِسَامٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ ، مُرَحَّبًا بِالْأَمِيرِ
« إقبال » ، مُهَنَّأً شَقِيقَتَهُ عَلَى زِيَارَةِ الضَّيْفِ الْعَظِيمِ . فَتَعَجَّبَ الْأَمِيرَانِ
مِمَّا رَأَيَا وَسَمِعَا ، وَسَأَلَاهُ : « كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمَ الْأَمِيرِ ؟ وَمَنْ أَنْبَأَكَ
بِقُدُومِهِ ؟ » فَقَالَ لَهُمَا : « لَقَدْ عَرَفْتُ الْكَثِيرَ مِنْ أَخْبَارِهِ ، وَبَقِيَ أَنْ تَعْرِفَا
طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِي ! » فَقَالَ الْأَمِيرَانِ : « مَا أَشَوْقَنَا إِلَى حَدِيثِكَ ! »
فَقَالَ الْأَمِيرُ : « لَقَدْ أَبْجَرْتُ - كَمَا تَعْلَمُ أُخْتِي الْعَزِيزَةُ - فِي نُحْبَةٍ مِنْ
أَصْحَابِي لِزِيَارَةِ عَمِّي تَلْبِيَّةً لِدَعْوَتِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَاشْتَرَكْتُ مَعَهُ فِي
الِإِحْتِفَالِ بِزَوَاجِ ابْنَتِهِ . وَكَانَتْ الرِّحْلَةُ سَعِيدَةً مُوفِّقَةً ، وَأَقَمْنَا فِي
ضِيَاغَتِهِ ، وَكُنَّا كُلَّمَا هَمَمْنَا بِالْعُودَةِ شَدَّدَ عَلَيْنَا فِي الْبَقَاءِ ، فَلَبِثْنَا فِي ضِيَاغَتِهِ
أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ . ثُمَّ أُذِنَ لَنَا بِالسَّفَرِ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ ، وَزَوَّدَنَا بِمَا مَلَأَ سَفِينَتَنَا مِنْ
هُدَايَاهُ . وَأَوْدَعَنَا تَحِيَّةً لَكَ وَلِأَيِّدِنَا وَشَعْبَهُ الْكَرِيمِ . ثُمَّ قَفَلْنَا عَائِدِينَ ، فَقَضَيْنَا
عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي جَوْ طَيِّبٍ وَرِيحٍ مُعْتَدِلَةٍ . فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّلَاثَ عَشَرَ تَغَيَّرَتْ

الرَّيْحُ فَجَاءَ، وَهَبَتْ الْعَاصِفَةُ شَدِيدَةً عَاتِيَةً تُنذِرُنَا بِالْغَرَقِ بَيْنَ لَحْظَةٍ
وَأُخْرَى . فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ دَبَّ الْيَأْسُ إِلَى نُفُوسِنَا، فَتَرَكْنَا السَّفِينَةَ تَحْتَ
رَحْمَةِ الرِّيحِ الْهَوِجِ، وَالْأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ . وَلَا تَسْأَلَا — أَيُّهَا الْعَزِيزَانِ —
عَنْ دَهْشَتِنَا حِينَ كُتِبَتْ السَّلَامَةُ لِسَفِينَتِنَا . وَمَا نَدْرِي بِأَيَّةِ مُعْجِزَةٍ نَجَّوْنَا
مِنَ الْغَرَقِ، فَبَلَّغْنَا الْبِرَّ آمِنِينَ .

٢ — نَصِيحَةُ الْمَلَّاحِ

وَمَا إِنْ حَلَلْنَا بِالسَّاحِلِ، حَتَّى بَدَأَ لَنَا الْمَكَانُ مُقْفِرًا لَا أُنَيْسَ بِهِ وَلَا دِيَّارَ .
فَمَشِينَا نَزْهَادُ الْجَزِيرَةِ حَتَّى بَلَّغْنَا غَايَةَ كَثِيفَةً . وَكَانَ مَعَنَا مَلَّاحٌ هَرِمٌ تَعَوَّدَ
السَّفَرَ كَثِيرًا إِلَى شَوَاطِئِ الْهِنْدِ مُنْذُ حَدَائِثِهِ، فَحَذَّرَنَا مِنَ الْبَقَاءِ، وَنَصَحَنَا
بِالْإِسْرَاعِ فِي تَرْكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْمُوَحِشَةِ، وَحَدَّثَنَا أَنَّ سُكَّانَهَا طَائِفَةٌ
مِنَ الْهَمَجِ يَعْبُدُونَ تُعْبَانًا هَائِلَ الْحَجْمِ؛ وَقَدْ تَعَوَّدُوا أَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ كُلَّ
مَنْ يُوْقِعُهُ سُوءَ الْحَظِّ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغُرَبَاءِ، فَيَلْتَمِسُهُ طَعَامًا سَائِغًا شَهِيًّا .

* * *

وَقَدْ نَصَحَنَا الْمَلَّاحُ الْمُجَرَّبُ أَنْ نَعْجَلَ بِتَرْكِ الْجَزِيرَةِ الرَّاعِبَةِ قَبْلَ أَنْ
يُقَدِّمَنَا أَهْلُهَا قُرْبَانًا لِمَعْبُودِهِمُ الثُّعْبَانَ .

وَلَمَّا كَانَ « كَاشِفٌ » : رَبَّانُ سَفِينَتِنَا يَثِقُ بِذَلِكَ الْمَلَّاحِ ، وَلَا يَشْكُ فِي
 خِبْرَتِهِ وَدُرْبَتِهِ ، وَصِدْقِ مَعْرِفَتِهِ بِمَسَالِكِ الْبِحَارِ ، لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِ نَصْحِهِ ،
 وَقَرَّرَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ السَّيْرَ فِي صَبَاحِ غَدٍ . وَكَانَ نِعْمَ الرَّأْيُ لَوْ سَافَرْنَا فِي
 الْحَالِ وَلَمْ نُوجِّلِ الرَّحِيلَ إِلَى الصَّبَاحِ . إِذْ لَسَلَّمَتْ سَفِينَتُنَا ، وَنَجَارَا كِبُوهَا .
 وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ فِي رَدِّ عَادِيَةِ الْقَضَاءِ .

٣ - سُلْطَانُ الْهَمَجِ

وَخَرَجْتُ أُرْتَادُ الْجَزِيرَةَ فِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، فَرَأَيْتُ زَنْجِيَّةً مِنْ أَهْلِ
 الْجَزِيرَةِ ، وَمَا إِنْ وَقَعْتُ عَلَى عَيْنَيْهَا حَتَّى أَسْرَعْتُ بِالْفِرَارِ . فَلَمْ أُعْرِهَا
 أَنْتِبَاهًا ، وَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، وَلَبِثْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، رَيْشَمَا
 أَعَدَدْنَا الْعُدَّةَ لِلسَّفَرِ . وَكَادَ يَتِمُّ لَنَا مَا أَرَدْنَا لَوْ لَمْ يَدْهَمْنَا أَهْلُ الْجَزِيرَةِ
 وَيُحِيطُوا بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَيُقَيِّدُونَا بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَقَدْ اسْتَوْلَوْا
 عَلَى سَفِينَتِنَا عَنُودَةً ، وَأَنْتَهَبُوا كُلَّ مَا تَحْوِيهِ مِنْ هَدَايَا وَطُرْفٍ .

وَحَمَلْنَا الْهَمَجُ إِلَى سُلْطَانِ الْجَزِيرَةِ أُسْرَى ، فَشَهِدْنَا يُؤْتَهُمْ أَشْبَهَ بِالْأَكْوَاخِ
 وَالْأَعْشَاشِ مِنْهَا بِالْبُيُوتِ . وَرَأَيْنَا سُلْطَانَهُمْ « هِمْلَاجَةً » ، وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ ؛
 مُسْتَوِيًا عَلَى عَرْشٍ مَبْنِيٍّ بِالْحِجَارَةِ ، مُزَخْرَفٍ بِالْأَصْدَافِ ، وَهُوَ عَمَلَقٌ

فَارِعُ الطُّولِ ، ضَخْمُ الجُثَّةِ ، مَدِيدُ القَامَةِ ، عَظِيمُ الهَامَةِ ، بَشِيعُ المَنْظَرِ ،
 دَمِيمُ السَّخْنَةِ ، أَشْبَهُ بِشَيْطَانٍ مِنْهُ بِإِنْسَانٍ . وَكَانَتْ بِنْتُهُ الأَمِيرَةَ « هُسْنَارَا » ،
 وَهِيَ أَقْبَحُ مِنْ أَيْبَاهَا سَخْنَةً ، وَأَضَخَمُ مِنْهُ جُثَّةً ، جَالِسَةً بِجَانِبِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ
 تَزِيدُ عَلَى الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمرِهَا . وَقَدْ اضْطَرَّنا وَزِيرُ الهَمِيجِ ، حِينَ مَثَلْنَا بَيْنَ
 يَدَيِ سُلْطَانِهِ أَنْ نُقَدِّمَ وَافِرَ الإِحْتِرَامِ .

ثُمَّ قَصَّ الوَازِيرُ عَلَى السُّلْطَانِ وَبِنْتِهِ : كَيْفَ عَثَرَتِ الجَارِيَةُ عَلَيْنَا ،
 وَاهْتَدَتْ إِلَيْنَا ؟

٤ - طَعَامُ الثُّعْبَانِ

فَابْتَهَجَ السُّلْطَانُ ، وَشَكَرَ لِوَزِيرِهِ وَجَارِيَتِهِ وَأَعْوَانِهِ ، مَا وَفَّقُوا إِلَيْهِ
 مِنْ صَيْدِ ثَمِينٍ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَبْسِنَا فِي مَغَارَةِ الأَسْرَى لِيقَدِّمَ وَاحِدٌ مِنَّا فِي
 صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ قُرْبَانًا لِمَعْبُودِهِمُ الأَفْعُوَانِ العَظِيمِ .
 فَأَطَاعَ الوَازِيرُ أَمْرَ سُلْطَانِهِ ، وَذَهَبَ بِنَا إِلَى المَغَارَةِ ، حَيْثُ قَدَّمُوا لَنَا
 - وَفَقَ تَقَالِيدِهِمْ - أَلْوَانًا مِنَ الطَّعَامِ ، أَلْفُوا أَنْ يُسَمَّنُوا بِهَا الضَّحَايَا
 وَالقَرَايِنَ ، قَبْلَ أَنْ يُقَدِّمُوهَا لِلأَفْعُوَانِ المَعْبُودِ .

وَمَرَّتْ بِنَا الأَيَّامُ ؛ يُقَدِّمُ - فِي كُلِّ يَوْمٍ - وَاحِدٌ بَعْدَ آخَرَ ، وَيَتَنَاقَصُ
 عَدَدُنَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، حَتَّى هَلَكَ رُكَّابُ السَّفِينَةِ وَمَلَّاحُوهَا ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ



غَيْرُ « كَاشِفٍ » : رُبَّانِ السَّفِينَةِ . فَسَهَرْنَا لَيْلَتَنَا تَتَرَقَّبُ مَضْرَعِ أَحَدِنَا فِي صَبَاحِ غَدٍ كَمَا صُرِعَ أَصْحَابُنَا مِنْ قَبْلِنَا ، وَنَتَنَظَّرُ حُضُورَ الْعِمْلَاقِينَ لِيُفَرِّقَانَا إِلَى الْأَبَدِ .

٥ - وَدَاعُ الرُّبَّانِ

وَلَمَّا دَنَا الْمَوْعِدُ نَظَرَ إِلَيَّ « كَاشِفٌ » مَحْزُونًا ، وَقَالَ :

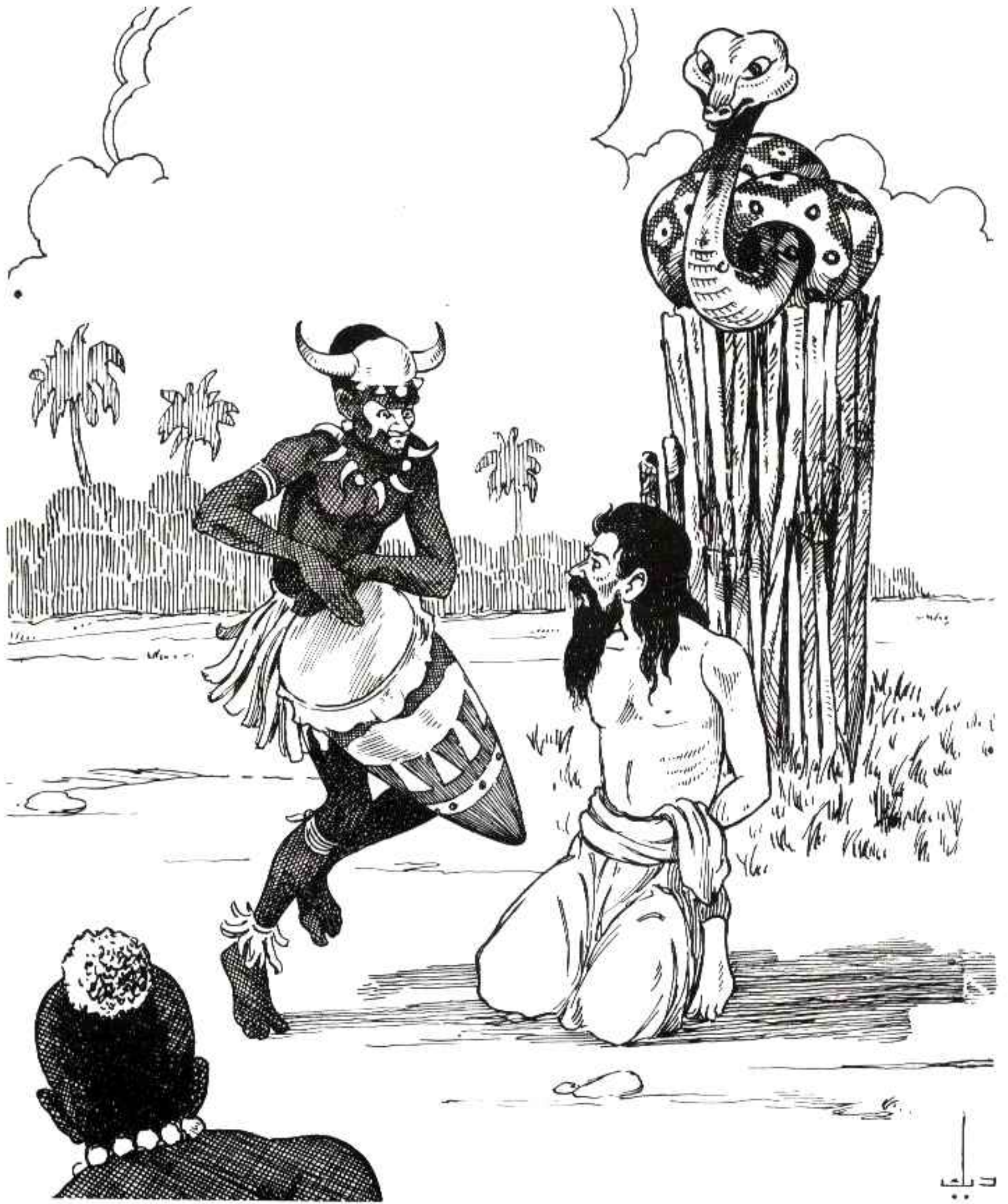
« لَقَدْ فَقَدْنَا كُلَّ أَمَلٍ فِي النَّجَاةِ وَاحْسَرَتَاهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَيَّامِنَا فِي الْحَيَاةِ غَيْرُ يَوْمَيْنِ اثْنَيْنِ . وَلَيْسَ لِي أُمْنِيَّةٌ إِلَّا أَنْ يُقَدَّمَ يَوْمٌ مَضْرَعِي عَلَى مَضْرَعِ سَيِّدِي الْأَمِيرِ ؛ فَمَا أُطِيقُ أَنْ أَرَى مَوْلَايَ الْأَمِيرَ يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ وَأَنَا عَاجِزٌ عَنْ نُصْرَتِهِ . فَقُلْتُ لِي « كَاشِفٍ » :

« مَا أَتَعَسَ حَظُّكَ أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ ! لَقَدْ بَدَلْتُ جُهْدِي فِي إِقْنَاعِكَ بِالْعُدُولِ عَنْ مُصَاحَبَتِي فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ . وَلَكِنَّ سُوءَ حَظِّكَ أَبِي إِلَّا أَنْ تُدَلَّحَ فِي مُصَاحَبَتِي . وَلَوْ لَا إِحْفَافُكَ لَنَجَوْتَ مِنْ هَذَا الْمَضْرَعِ الْمَفْزَعِ ! »

وَمَا إِنْ أَتَمَمْتُ كَلَامِي ، حَتَّى أَقْبَلَ الْعِمْلَاقَانِ ، وَأَمْرَانِي أَنْ أَتَبِعَهُمَا .

فَلَمْ أَجْزَعْ لِذَلِكَ ، وَلَمْ أَتَهَيَّبْ هَذَا الْمَصِيرَ ؛ فَقَدْ كُنْتُ أَتَرَقَّبُهُ وَأَتَأَهَّبُ لَهُ ؛ فَالْتَفَتُّ إِلَى الرُّبَّانِ ، أَوَدَّعَهُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ الْأَبَدِيَّ .

فَاشْتَدَّ جَزَعُهُ عَلَيَّ ، وَتَمَنَّى لَوْ قُدِّمَ قَبْلِي قُرْبَانًا لِلشُّعْبَانِ .



٦ - أَمِيرَةُ الْهَمَجِ

ثُمَّ صَحِبَنِي الْعَمَلِقَانِ إِلَى خَيْمَةِ فَسِيحَةٍ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّي مُلَاقٍ فِيهَا
مَعْبُودَهُمُ الْأَفْعُوَانَ ، وَلَكِنْ حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي حِسْبَانٍ ، فَقَدْ رَأَيْتُ
أَمْرَأَةً مِنَ الْهَمَجِ تُقْبِلُ عَلَيَّ بِاسْمَةٍ ، وَتَقُولُ لِي مُطْمَئِنَّةً :

« لَا تَخَفْ - أَيُّهَا الْفَتَى - وَلَا تَحْزَنْ ، فَلَنْ يُصِيبَكَ مَا أَصَابَ أَصْحَابَكَ . لَقَدْ
كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَنْ مَوْلَاتِي الْأَمِيرَةِ : « هُسْنَارَا » رَضِيَتْ عَنْكَ ،
وَادَّخَرَتْ لَكَ حَظًّا سَعِيدًا ؛ فَهَنِيئًا لَكَ مَا ظَفِرْتَ بِهِ . وَلَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِأَكْثَرِ
مِمَّا قُلْتُ ، فَإِنَّهَا سَتُفَاجِئُكَ بِمَا آدَّخَرَتْهُ لَكَ مِنْ سَعَادَةٍ .

وَلَا تَنْسَ أَنَّي مُسْتَشَارَةٌ الْأَمِيرَةِ وَجَارِيَتُهَا الْمُخْتَارَةُ . وَقَدْ أَذِنْتُ لِي
مُتَفَضِّلَةً فِي أَنْ أُتِيحَ لَكَ شَرَفَ الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهَا . فَطَبِّ نَفْسًا ، وَقَرِّ
عَيْنًا ؛ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهَا بَعْدَ لِحَظَاتٍ . »

وَأَنْصَرَفَ الْخَادِمَانِ ، وَأَمْسَكْتُ جَارِيَةَ « هُسْنَارَا » بِيَدِي ، وَقَادَتْنِي
إِلَى مَخْدَعِ الْأَمِيرَةِ ، فَرَأَيْتُهَا تَجْلِسُ وَحَدَّهَا عَلَى إِحْدَى الْأَرَائِكِ الْمَغْطَاةِ
بِجُلُودِ النُّمُورَةِ وَالْأَسُودِ وَالْفُهُودِ . وَرَأَيْتُ لَهَا وَجْهًا زَيْتُونِي اللَّوْنِ ، تَبْرِقُ
فِيهِ عَيْنَانِ ضَيِّقَتَانِ ، يَتَخَلَّاهُمَا أَنْفٌ كَبِيرٌ أَفْطَسٌ ، رُكِبَ عَلَى شَفَتَيْنِ غَلِيظَتَيْنِ ،

تَنْطَبِقَانِ عَلَى فَمٍ وَاسِعٍ ، وَتَنْفَرِجَانِ عَنِ أَسْنَانٍ كَبِيرَةٍ الْحَجْمِ ، عُنْبَرِيَّةِ اللَّوْنِ .
 وَيَعْلُو رَأْسَهَا شَعْرٌ قَصِيرٌ جَعْدٌ ، فِي مِثْلِ لَوْنِ الْأَبْنُوسِ أَوْ هُوَ أَشَدُّ سَوَادًا مِنْهُ ،
 وَفَوْقَهُ قَلَنْسُوتَةٌ صَفْرَاءُ مُطَرَّزَةٌ بِخَيْطِ أَحْمَرَ . وَفِي جِيدِهَا (رَقَبَتِهَا) عِقْدٌ
 مِنَ الْخَرَزِ كَبِيرِ الْحَجْمِ ، يَزِينُهُ رِيشٌ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ ، بَعْضُهُ أَزْرَقٌ ،
 وَبَعْضُهُ أَصْفَرٌ . وَقَدْ ارْتَدَّتْ ثَوْبًا ضَافِيًا مِنْ فِرَاءِ النَّمُورَةِ ، يُغَطِّي جِسْمَهَا
 مِنْ كَتِفَيْهَا إِلَى قَدَمَيْهَا .

وَكَانَ مَنْظَرُ « هُسْنَارَا » يُذَكِّرُنِي - كَمَا تَمَثَّلَتْهَا - بِصُورَةِ الشَّيْطَانِ كَمَا
 اتَّخِيلُهُ ، وَرُبَّمَا أَشْبَهَتْ الْقُرُودَ فِي سَمَاجَةِ هَيْئَتِهَا ، وَإِنْ خَالَفَتْهَا فِي خِفَّتِهَا ،
 وَرَشَاقَةِ حَرَكَتِهَا .

وَمَا إِنْ رَأَيْتَنِي حَتَّى ابْتَدَرْتَنِي قَائِلَةً :

« لَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفَتَى . طِيبُ نَفْسًا ، وَقَرَّ عَيْنًا ؛ فَلَنْ تَلْقَى عِنْدِي إِلَّا
 خَيْرًا . تَعَالَ فَاجْلِسْ إِلَى جَانِبِي ، لِأَسْمِعَكَ مَا أَعَدَدْتُهِ لَكَ مِنْ بُشْرِيَّاتٍ .
 لَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ السَّعَادَةَ ، فَيَسَّرْتُ لَكَ سَبِيلَ النِّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ ،
 وَالْخَلَاصِ مِمَّا لَقِيَهُ أَعْوَانُكَ مِنْ مَصَارِعِ الشُّوءِ . »
 ثُمَّ صَمَّتْ « هُسْنَارَا » قَلِيلًا ، وَاسْتَأْنَفَتْ قَائِلَةً :

« حَسْبُكَ سَعَادَةٌ أَنْنِي أُعْجِبْتُ بِمَا رَأَيْتُهُ مِنْ شَجَاعَتِكَ ، وَرَبَاطَةِ

جَاشِكَ (ثَبَاتِ قَلْبِكَ) ، وَاسْتِهَانَتِكَ بِالْمَوْتِ . فَعَزَمْتُ عَلَى مُكَافَأَتِكَ
عَلَى مَا تَمَيَّزْتَ بِهِ مِنْ خِلَالِ نَبِيلَةٍ ، وَشَمَائِلِ عَالِيَةٍ ، وَضَاعَفْتُ لَكَ الْجَزَاءَ ،
وَأَجَزَلْتُ الْعَطَاءَ ، فَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى إِنْتِزَاكِ مِنَ الْمَوْتِ ، بَلِ اخْتَرْتُكَ زَوْجًا :
زَوْجًا لَوَلِيَّةِ الْعَهْدِ « هُسْنَارًا » أَمِيرَةِ الْبَحْرِ .

أَعْرِفْتُ أَيَّ مُفَاجَأَةٍ سَارَةٍ أَعَدَدْتَهَا لَكَ ، أَيُّهَا الْمَحْظُوظُ السَّعِيدُ ؟ سَتُصْبِحُ
سُلْطَانَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بَعْدَ وِفَاةِ أَبِي . أَرَأَيْتَ كَيْفَ آثَرْتُكَ (فَضَّلْتُكَ)
عَلَى صَفْوَةٍ خَاصَّتِي ، وَسَرَاةٍ مَمْلَكَتِي ؟

٧ - مَادِبَةُ الْهَرَّةِ

أَيُّ نَبَاٍ هَائِلٍ سَكَّتْ أُذُنِي بِهِ ؟ بَلْ أَيُّ شَقَاءٍ أَعَدَّتْهُ لِي ؟ إِنَّ الْمَوْتَ
أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمُفْرَعَةِ . إِنَّ بَدَنِي لَيَقْشَعِرُ كُلَّمَا طَافَتْ
بِرَأْسِي ذِكْرِيَاتُ ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمَشْتُومِ . وَسُرْعَانَ مَا تَمَثَّلَتْ تِلْكَ الطَّرْفَةُ
الَّتِي قَصَّهَا عَلَيْنَا مُعَلِّمُنَا ، وَنَحْنُ طِفْلَانِ . « فَسَأَلْتُهُ أُخْتَهُ : « أَيُّ طَرْفَةٍ
تَعْنِي ؟ فَمَا أَكْثَرَ مَا أَمْتَعَنَا بِهِ مُعَلِّمُنَا مِنْ طَرَائِفِ وَمُلِحِ ! »

فَقَالَ : « أَلَا تَذْكُرِينَ قِصَّةَ الْهَرَّةِ (الْقِطَّةِ) الَّتِي كَانَ سَيِّدُهَا يُكْرِمُهَا ،
وَيُوَالِي بَرَّهُ بِهَا ، وَعَطْفَهُ عَلَيْهَا ؛ بِمَا يُقَدِّمُهُ لَهَا مِنْ دَجَاجٍ وَبَطِّ وَحَمَامٍ ،

وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ لَذِيذِ الطَّعَامِ . فَلَمْ تَجِدْ وَسِيلَةً لِشُكْرِهِ عَلَى مَا غَمَرَهَا بِهِ
 مِنْ جَمِيلٍ إِلَّا أَنْ تُكَافِئَهُ بِفَأْرَةٍ أَصْطَادَتَهَا ، لِيَنْعَمَ بِضِيَاغَةِ الْهَرَّةِ كَمَا نَعِمْتَ
 بِضِيَاغَتِهِ . مَا أَشْبَهَ مَا صَنَعْتَهُ الْهَرَّةُ بِمَا صَنَعْتَ « هُسْنَارَا » ! كَلَّتَاهُمَا لَا تَعْرِفُ
 أَنَّ لَحْمَ الْفَيْرَانِ ، لَا يَصْلَحُ طَعَامًا لِلْإِنْسَانِ !

٨ - غُرُورُ « هُسْنَارَا »

وَكَانَ خَوْفِي مِنْ غَضَبِ هَذِهِ الْحَمَقَاءِ يَحُولُ دُونَ مُكَاشَفَتِهَا بِمَا مَلَأَتْ نَفْسِي
 مِنْ نُفُورٍ وَأُحْتِقَارٍ ، وَمَا أَفْعَمَ قَلْبِي مِنْ كَرَاهِيَةٍ وَأَشْمِئَازٍ . فَأَثَرْتُ
 الصَّمْتَ جَوَابًا . فَقَالَتْ « هُسْنَارَا » : « مَا بِالكَ صَامِتًا لَا تَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ
 وَاحِدَةٍ ؟ لَا رَيْبَ أَنَّ مَا فَاجَأْتُكَ بِهِ مِنْ سَعَادَةٍ لَا تَخْطُرُ بِالْبَالِ ، قَدْ أَذْهَلَكَ
 وَعَقَدَ لِسَانَكَ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ . الْحَقُّ مَعَكَ . فَمَا كَانَ يَدُورُ بِخَلْدِكَ
 أَنْ يَقَعَ اخْتِيَارُ بِنْتِ سُلْطَانِ الْجَزِيرَةِ عَلَى أَسِيرٍ مِثْلِكَ ، فَكُتِبَ لَهُ
 السَّلَامَةُ مِنْ مَضْرَعٍ وَخِيمٍ ، وَيَتَبَدَّلُ شَقَاؤُهُ بِحِظٍّ عَظِيمٍ . إِنْ صَمَمْتَ
 دَلِيلُ إِخْلَاصِكَ وَأَعْتِرَافِكَ بِمَا أَسَدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيلٍ . »

وَلَمَّا أَتَمَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، قَدَّمَتْ لِي إِحْدَى يَدَيْهَا ، لِأَقْبِلَهَا ، فَقَبَّلْتُهَا
 عَلَى مَضَضٍ . وَكَانَ اقْتِنَاعُهَا بِجَمَالِهَا ، وَثِقَتُهَا بِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَاهَا سَيُفْضِلُهَا

عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِ قَاطِبَةً ؛ أَشْبَهَ بِاقْتِنَاعِ تِلْكَ الْهَرَّةِ بِأَنَّ لَحْمَ الْفِيرَانِ أَشْهَى
غِذَاءً وَالذُّطَعَامِ .

وَقَدْ خَيَّلَ لَهَا غُرُورُهَا أَنَّ مَا رَأَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَيْرَةِ وَالسُّخْطِ
وَالِإِشْمِئزَازِ ، دَلِيلٌ نَاطِقٌ عَلَى فَرْطِ إِعْجَابِي بِحُسْنِهَا ، وَافْتِنَانِي بِجَمَالِهَا . وَسُرْعَانَ
مَا أَقْبَلْتُ جَارِيَتَانِ ، وَفَرَشْتَا عَلَى الْأَرْضِ نَفَائِسَ مِنْ فِرَاءِ النُّمُورَةِ وَالسَّبَّاعِ
وَالْفُهُودِ . ثُمَّ جَاءَتْ جَوَارِثُ ثَلَاثُ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا صِحَافٌ مَمْلُوءَةٌ بِشِرَائِحِ اللَّحْمِ
الْمَغْمُورِ فِي الْعَسَلِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ غَرِيبٍ مَا أَلْفُوهُ مِنْ أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ .
ثُمَّ أَشَارَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهَا عَلَى فَرْوَةٍ نَمِرٍ لِأَشْرَكِهَا فِي الطَّعَامِ .
فَأَذَعَنْتُ لِأَمْرِهَا كَارِهًا ، وَازْدَرَدْتُ لِقِيَمَاتٍ . وَكَانَتْ الْأَمِيرَةُ تُشَجِّعُنِي عَلَى
الِاسْتِزَادَةِ مِنْ طَعَامِهَا ، وَتَقُولُ لِي بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ : « مَاذَا بَكَ أَيُّهَا الْفَتَى ؟
مَا بِالكَ لَا تُقْبَلُ عَلَى الطَّعَامِ ؟ لَا رَيْبَ أَنَّ مَا فَاجَأَتْكَ بِهِ مِنْ بُشْرِيَّاتٍ قَدْ
شَغَلَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا أُرَاكَ إِلَّا مُتَعَجِّلًا تَحْقِيقَ وَعْدِي . الْحَقُّ مَعَكَ
يَا فَتَى . فَخَيْرُ الْبِرِّ عَاجِلُهُ . هَا نَذِي مُسْرِعَةٌ إِلَى مُقَابَلَةِ أَبِي لِأَرْجُوهُ أَنْ يَسْتَبْقِيَ لِي
حَيَاتِكَ وَحَيَاةَ صَاحِبِكَ الَّذِي اخْتَارْتَهُ جَارِيَتِي الْوَفِيَّةُ « مَهْرُفِيَا » زَوْجًا لَهَا . »
وَلَمَّا أَتَمَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَذِنَتْ لِي بِالْخُرُوجِ ، وَقَالَتْ لِي وَهِيَ تُودِّعُنِي :

« عُدْ إِلَى خِيَمَتِكَ أَيُّهَا الْفَتَى ، وَنَبِيٌّ صَاحِبِكَ أَنْ السَّعَادَةَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ زَوْجَهُ بِوَصِيْفَتِي الْمُخْتَارَةِ « مَهْرُ فَيَا » سَيَتِمُّ مَعَ زَوْجِكَ بِي . عَجَّلْ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الْبُشْرَى ، وَاشْكُرِ الْحِظَّ السَّعِيدَ الَّذِي أَفْرَدَ كَمَا مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِكُمَا بِالنَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ ، وَأَتَّاحَ لِكِلَيْكُمَا أَنْ تَنْعَمَا بِالسَّعَادَةِ الْكَامِلَةِ . طَيِّبَا نَفْسًا ، وَقَرَّأْ عَيْنًا ؛ فَإِنِّي مُحَقِّقَةٌ لَكُمْ رَجَاءَكُمْ ، وَمُبَلِّغَةٌ كَمَا أُمْنِيَّتَكُمْ ، وَسَتَتَعَشَّيَانِ مَعِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ حِينَ تَكْفُ شُعْلَةُ النَّهَارِ عَنْ إِضَاءَةِ الْجَزِيرَةِ السَّعِيدَةِ .
وَلِيُبَارِكْ مَعْبُودُنَا الْأَفْعُوَانُ الْعَظِيمُ فِي حَيَاتِنَا الْمَدِيدَةِ . »

فَتَظَاهَرَتْ بِشُكْرِ « هُسْنَارَا » أَمِيرَةِ الْهَمَجِ ، عَلَى مَا أَسَدَتْهُ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ ، وَأَنَا أَلْعَنُهَا فِي نَفْسِي ، وَأَفْضَلُ الْمَوْتَ عَلَى الزَّوْاجِ بِهَذِهِ الشَّيْطَانَةِ . ثُمَّ نَادَتْ الْأَمِيرَةَ بَعْضَ خَدَمِهَا لِيَذْهَبَ بِي إِلَى خِيَمَتِي .

٩ - مُنَاقَشَةُ حَزِينَةٍ

وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرَحٍ « كَاشِفٍ » حِينَ رَأَيْتِي قَادِمًا عَلَيْهِ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْ تَلَاقِنَا ، فَقَدْ عَاوَدَهُ الْأَمَلُ فِي النَّجَاةِ ، بَعْدَ أَنْ يَيْئَسَ مِنَ الْحَيَاةِ ؛ فَقَالَ : « مَا أَسْعَدَهَا مُفَاجَأَةً ! وَافْرَحَتَاهُ ! هَأَنْتَ ذَا - يَا أَمِيرِي الْعَزِيزَ - لَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ

الحياة . فهل أطمعُ في نجاتك من الأفعوانِ وعودتكِ إلى مملكتكِ ؟ !
فقلتُ له محزوناً : « لقد كتبتُ لي السلامة من الهلاكِ ، والنَّجاةُ من
الخاصمةِ الفاجعةِ التي انتهت بها حياةُ رفاقنا الأعرَّاءِ . ولكن ... »

فقاطعتني قائلاً : « يا لها من مفاجأةٍ سعيدةٍ ! ولكن خبرني : أوافقُ
أنت مما تقول ؟ أتراك نجوت من الأفعوانِ ؟ حبذا لو صدقت الأمانُ
وصحَّت الأملامُ ! »

فأجبتُهُ متجهماً الوجهَ عابساً : « ليتك تُصنعي إلى يقيةِ الحديثِ ! قلتُ لك :
إنني نجوتُ من الأفعوانِ ، ولكنَّ تحقيقَ هذه الأمنيةِ سيكلفني أفدحَ
الأمانِ . وسترى كيف يتبدلُ سرورُك حزنًا إذا عرفت أن فقدانَ الحياةِ
أيسرُ من أداءِ هذا الثمنِ ! »

فقال لي « كاشفٌ » متعجباً : « شدَّ ما غلوت يا سيدي الأميرَ وأسرفتُ !
وهل في الدنيا أئمنُ من الحياةِ ؟ » فقلتُ له : « لا تعجلْ بحُكمك . »

وقصصتُ عليه ما فاجأني به الأميرةُ من رغبةٍ في الزواجِ بي . فقال
لي مؤسبياً : « لا ريبَ أنك على حقِّ . ولكنَّ الحياةَ جميلةٌ على كلِّ حالٍ .
وعزيرٌ على الإنسانِ أن يموتَ في مُقتبلِ شبابهِ ، فجاهدْ في التغلبِ على نفسك ،
وأذعنْ لحُكمِ الضرورةِ . ولا تنسَ أن الحازمَ هو من يوازنُ بين المصيبتينِ ،

فِيخْتَارُ أَهْوَنَ الشَّرِّينِ ! « فَصِيحْتُ بِهِ قَائِلًا : « أَيُّ نَصِيحَةٍ هَذِهِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا لِي ؟ هَلْ يَدُورُ بِخَلْدِكَ أَنْتِي أَسْتَطِيعُ اتِّبَاعَهَا وَالْعَمَلَ بِهَا ؟ سَنَرَى مَاذَا أَنْتَ صَانِعٌ . وَهَلْ سَتَتَّبِعُ الرَّأْيَ الَّذِي تُشِيرُ بِهِ عَلَيَّ ، حِينَ تَعْلَمُ أَنَّ « مَهْرُفِيَا » وَصِيْفَةَ « هُسْنَارَا » قَدْ اخْتَارَتْكَ زَوْجًا لَهَا ، وَجَعَلَتْ ذَلِكَ ثَمَنًا لِخَلَاصِكَ مِنَ الْهَلَاكِ . فَمَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ لَقَدْ اخْتَارَتْكَ وَهِيَ لَيْسَتْ أَكْثَرَ جَمَالًا مِنْ مَوْلَاتِهَا . أَتُرَاكَ مُسْتَعِدًّا لِانْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الذَّهَبِيَّةِ النَّادِرَةِ ؟ »

وَسُرَّعَانَ مَا انْتَفَضَ « كَاشِفٌ » مُتَفَرِّعًا ، وَأَمْتَقِعَ لِهَوْلِ مَا يَسْمَعُ ، فَابْتَدَرَنِي قَائِلًا : « وَاحْسَرْتَاهُ ! يَا لَهُ مِنْ خَبَرِ صَاعِقٍ ! أَيْمُكِنُ أَنْ يَكُونَ مَوْلَايَ جَادًّا فِيمَا يَقُولُ ؟ إِنْ لِقَاءَ الْأَفْعُوَانِ أَهْوَنُ عَلَيَّ نَفْسِي مِنْ لِقَاءِ هَذِهِ الْغُولِ ! بَلْ إِنِّي لِأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ لِي أَلْفُ نَفْسٍ - يَلْتَمِسُهَا الشُّعْبَانُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى - عَلَيَّ أَنْ أُبْتَلِيَ بِهَذِهِ الْمُصِيبَةِ ! »

فَقُلْتُ لَهُ مُدَاعِبًا سَاخِرًا : « مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ ! وَمَا أَسْرَعَ مَا نَسِيتَ نَصِيحَتَكَ وَتَنَسَّكَ لِرَأْيِكَ ! أَلَمْ تَقُلْ لِي : إِنْ الْحَيَاةَ جَمِيلَةٌ عَلَيَّ أَيُّ حَالٍ ، وَإِنْ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ ، وَإِنَّ الْحَازِمَ الْفِطْنِ هُوَ مَنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يَخْتَارُ بَيْنَهُمَا ؟ فَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُخِيفُكَ ، فَكَيْفَ تُرِيدُنِي عَلَيَّ أَنْ أَخَافَهُ ؟ أَنْسِيتَ مَا قَالَهُ الْحَكِيمُ

العظيم « بزُرْجَمَهُرُ » لِمَلِيكِهِ ، حِينَ سَأَلَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : « مَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ
 مِنَ الْحَيَاةِ ؟ وَمَا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ ؟ أَتَعْرِفُ بِمَاذَا أَجَابَهُ ؟ »
 فَقَالَ « كَاشِفٌ » : « أَمَّا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ فَهُوَ الزَّوْاجُ بِمِثْلِ
 هَذِهِ الشَّيْطَانَةِ ! فَكَيْفَ قَالَ الْحَكِيمُ ؟ » فَقُلْتُ لَهُ : « كَانَ نِصْفُ
 جَوَابِهِ قَرِيبًا مِمَّا سَمِعْتُهُ مِنْكَ ؛ فَقَدْ قَالَ لِمَلِيكِهِ : « أَمَّا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ
 مِنَ الْحَيَاةِ فَهُوَ مَا لَا تَطِيبُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَأَمَّا الَّذِي هُوَ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ
 فَهُوَ مَا يُتَمَنَّى الْمَوْتُ مِنْ أَجْلِهِ ! » فَقَالَ لِي « كَاشِفٌ » : « مَا أَصْدَقَ مَا قَالَ ! »

١٠ - الْفِرَارُ مِنَ الْجَزِيرَةِ

وَلَبِثْتُ مَعَ « كَاشِفٍ » نُقَلَّبُ آرَاءَ نَاعِلٍ كُلِّ وَجْهِ ، حَتَّى أَحْكَمْنَا خُطَّةً
 لِلْفِرَارِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْمَشْهُومَةِ . وَسَنَحَتُ لَنَا الْفُرْصَةَ لِتَحْقِيقِ مَا أَرَدْنَا ،
 بَعْدَ أَنْ وَثِقَتْ بِنَا الْأَمِيرَةُ وَمُسْتَشَارَتُهَا ، وَأَطْلَقَتَانَا مِنَ الْأَسْرِ ، وَأَذِنَتَا لَنَا
 فِي التَّجْوَالِ ، وَارْتِيَادِ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ كَمَا نَشَاءُ . وَسَاعَفْنَا الْحِظُّ بَعْدَ سَاعَاتٍ ،
 فَوَجَدْنَا زَوْرَقًا صَغِيرًا مِنْ زَوَارِقِ الصِّيَادِينَ مَرْبُوطًا إِلَى وَتِدٍ بِحَبْلِ مَتِينٍ ، فَحَلَلْنَا
 وَأَنْطَلَقْنَا بِهِ فِي عُرْضِ الْبَحْرِ مُسْرِعِينَ ، وَمَا إِنْ بَعُدْنَا عَنِ الشَّاطِئِ حَتَّى فَطَنَ
 بَعْضُ الْهَمَجِ إِلَى فِرَارِنَا ، فَاذْفَعُوا إِلَى الشَّاطِئِ غَاضِبِينَ ، وَرَاحُوا يَتَوَعَّدُونَا

مُزْمَجِرِينَ . وَسَمِعْنَا وَزِيرَ الْهَمَجِ يُبْرِطِمُ وَيَرُطُنُ . فَلَمْ نُبَالِ بِوَعِيدِهِ ، وَلَمْ
 نَعْبَأُ بِتَهْدِيدِهِ ؛ بَعْدَ أَنْ أَوْغَلْنَا فِي الْبَحْرِ ، وَأَصْبَحْنَا بِمَنْجَاةٍ مِنْ شَرِّ الْهَمَجِ .
 وَعِنْدَ مَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ كَانَتْ الْجَزِيرَةُ قَدْ غَابَتْ عَنْ نَاضِرِينَا .

فَشَكَرْنَا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِنَجَاتِنَا ، وَشَعَرْنَا بِسُرُورٍ عَظِيمٍ . وَشَغَلْنَا
 فَرَحُنَا بِالْخَلَاصِ مِنَ الْهَمَجِ عَمَّا يُوَاجِهُنَا مِنْ نَفَادِ الزَّادِ وَأَخْطَارِ الْبَحْرِ وَثَوْرَةِ
 الْأَمْوَاجِ ، وَمَا يَتَهَدَّدُ زَوْرَقُنَا مِنَ الْغَرَقِ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ .

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَدْ كَانَ الْمَوْتُ غَرَقًا أَيْسَرَ عَلَيْنَا ، وَأَبْهَجَ لِقَلْبَيْنَا ،
 مِنْ إِقَائِنَا بَيْنَ فَكِّي الثُّعْبَانِ ، أَوْ مُصَاهَرَتِنَا لِذَلِكَ السُّلْطَانِ .

الفصل السادس

١ - جنة البحر

وانطلق بنا الزورق في عرض البحر على غير هدى، حتى لاحت لنا
تباشير الصبح، فحللنا جزيرة كثيرة الأنهار، وارفة الأشجار، دانية
الثمار، تكاد غصونها تمس الأرض لوفرة ما تحمل من ناضج الفاكهة.
وكانت تخيل لمن يراها أنها جنة من جنات الأرض. وكان الجوع
والعطش قد جهدانا وبرحنا بنا، فأكلنا من لذائذ فاكهتها، وارثونا
من عذب مائها، وحمدنا الله الذي أطعمنا من جوع، وآمننا
من خوف.

وجلسنا نعرض ما مر بنا من أحداث وأحوال، فنضحك متفكحين،
بعد أن نجونا من الخطر وضمننا السلامة.

وعجبنا كيف خلت هذه الجنة الناضرة من الناس. فقلت لصاحبي:

«لأمر ما أقفرت هذه الجزيرة، فلم يعمرها أحد من الناس؛ فما أظننا

أول من حل بأرضها، وأعجب باعتدال جوها ولذائذ فاكهتها.»

فَقَالَ : « الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ . وَلَوْلَا ذَلِكَ ، لَمَا خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا ،
 وَأَقْفَرَتْ مِنْ سَاكِنِيهَا . » وَكَأَنَّمَا أَجْرَى الْقَدَرُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى لِسَانِ
 صَاحِبِي عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِمَا يَخْبُوهُ لَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ . وَقَضَيْنَا نَهَارَنَا وَلَيْلَنَا
 فِي مَرَجٍ وَابْتِهَاجٍ . وَجَلَسْنَا نَسْمُرُ فِي ضَوْءِ الْبَدْرِ ، ثُمَّ نَمْنَا عَلَى الْحَشَائِشِ
 الْخُضْرِ الْمُحَلَّلَةِ بِالْأَزْهَارِ ذَاتِ الْأَرِيحِ الْفَوَّاحِ . وَغَلَبَنِي التَّعَبُ ، فَلَمْ
 أَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الضُّحَى . وَلَمْ أَجِدْ صَاحِبِي مَعِي ، فَنَادَيْتُهُ مَرَّاتٍ ، فَلَمْ
 أَظْفَرْ بِغَيْرِ رَجْعِ الصَّدى . وَبَحَثْتُ عَنْهُ أُسْبُوعَيْنِ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ ، فَلَمْ
 أَعْثُرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ . فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ كَارِثَةً حَلَّتْ بِهِ ، وَيَدَّسْتُ مِنْ إِقَائِهِ .

وَكَانَتْ لَأَمْنِي لَوْ أَسْتَطِيعُ فِدَاءَهُ مِمَّا لَحِقَ بِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ ، لَوْ كَانَ
 يُجِدِي الْفِدَاءَ . وَأَسْفَا عَلَيْهِ ! لَقَدْ فَقَدْتُ فِيهِ صَدِيقًا وَفِيًّا وَأَمِينًا مُخْلِصًا ،
 طَالَمَا شَارَكَنِي هُمُومِي وَآلَمِي ، وَأَعَانَنِي فِي حَلِّي وَتَرْحَالِي ، وَحَمَلَ عَنِّي
 مَا أَنْوَى بِهِ مِنْ أَثْقَالِ الْحَيَاةِ . فَأَيُّ كَارِثَةٍ فَرَّقَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، بَعْدَ
 أَنْ نَجَوْنَا مِنْ كُلِّ مَا تَعَرَّضْنَا لَهُ مِنْ فَوَاحِشِ الْكَوَارِثِ ؟

وَلَا حَتَّ لِعَيْنِي - فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ عَشَرَ - غَابَةٌ كَثِيفَةٌ ، فَيَمَّمْتُهَا ،
 وَرُحْتُ أَجُوسُ خِلَالَ أَشْجَارِهَا ، فَاعْتَرَضَنِي قَصْرٌ لَمْ أَرَ لَهُ شَبِيهَا بَيْنَ

قُصُورِ الْمُلُوكِ ، تُحِيطُ بِهِ خَنَادِقُ عَمِيقَةٌ وَاسِعَةٌ مَمْلُوءَةٌ مَاءً . وَرَأَيْتُ
 عَلَى أَحَدِهَا مَعْبَرًا مُتَحَرِّكًا كَأَسْمَانِي إِلَى مَيْدَانٍ فَسِيحٍ مُبْلَطٍ بِالرُّخَامِ
 الْأَبْيَضِ ، يُوَجِّهُهُ بَابَ الْقَصْرِ . وَفِي وَسَطِهِ فَتَاةٌ بَهِيَّةُ الطَّلَعَةِ نَائِمَةٌ عَلَى
 سَرِيرٍ فَخِيرٍ ، تَرْتَدِي ثَوْبًا حَرِيرِيًّا مُطَرَّزًا بِنَفِيسِ اللَّالِي ، وَعَلَى رَأْسِهَا
 تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ مُرْصَعٌ بِالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ وَالْمَاسِ ، وَفِي رَقَبَتِهَا عِقْدٌ
 مِنَ الْيَاقُوتِ النَّادِرِ ، وَفِي وَسَطِهِ دُرَّةٌ كَبِيرَةٌ لَا تُقَوِّمُ بِمَالٍ ، وَلَوْ لَوْتَانِ
 يَشِعُّ مِنْهُمَا نُورٌ بَاهِرٌ .

وَقَدْ خَيَّلَ إِلَيَّ - حِينَ رَأَيْتُهَا - أَنَّهَا تَتَأَمَّلُنِي وَتُنَعِّمُ نَظَرَهَا فِيَّ .
 وَلَمْ يَدْرُ بِخَلْدِي أَنَّهَا تَمَثَّلُ صَامِتٌ لَا حَرَكَةَ بِهِ ، وَلَا حَيَاةَ فِيهِ .
 كَيْفَ ! وَجَمَالَهَا مُشْرِقٌ ، وَحُسْنُهَا زَاهِرٌ ، وَخَدَّاهَا مُورَدَانٌ ؛ يُوَكِّدَانِ
 لِمَنْ يَرَاهُمَا أَنَّ دَمَ الْحَيَاةِ يَجْرِي فِي عُرُوقِ الْفَتَاةِ مُتَدَفِّقًا .
 وَكَانَ بَرِيقُ عَيْنَيْهَا يُخَيِّلُ لِمَنْ يَرَاهُ كَأَنَّهَا يُحَرِّكُهُمَا الْهَدْبُ ، فَتَرْمِشُ
 بِهِمَا ، فَلَا يَتَمَلَّكُ أَنْ يَبْدَأَهَا بِالتَّحِيَّةِ .

يَا لِلْعَجَبِ ! أَهَذَا تَمَثَّلٌ فَاقِدُ الْحَيَاةِ ؟ تَرَى أَيُّ مَثَلٍ أَبْدَعَهُ ؟
 أَمَّا السَّرِيرُ الَّذِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْفَتَاةُ فَلَهُ دَرَجٌ ، وَعَلَى الدَّرَجِ خَادِمَانِ : أَيْضُ

وَأَسْوَدُ ، وَيَدِ أَحَدِهِمَا رُمْحٌ مِنَ الْفُؤَادِ ، وَيَدِ الْآخِرِ سَيْفٌ مَاضٍ
يَكَادُ سَنَاهُ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ . وَبَيْنَ يَدَيْهِمَا لَوْحٌ مُعَلَّقٌ فِيهِ
مِفْتَاحٌ ذَهَبِيٌّ .

وَدَنَوْتُ مِنَ اللَّوْحِ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ نَقْشًا بَدِيعًا مَكْتُوبًا فِي وَسْطِهِ :
« مَنْ قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، وَيَسَّرَ اللَّهُ لَهُ دُخُولَ هَذِهِ الْغَابَةِ ، وَكَتَبَ
لَهُ الْوُصُولَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَظْفَرَ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ ، فَلْيَأْخُذْ هَذَا
الْمِفْتَاحَ دُونَ أَنْ يَمْسِيَ أَوْ يَمَسَّ - مِنْ حَالِيَّتِي وَلَا لِي - شَيْئًا . فَإِذَا وَسَّوَسَ
لَهُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُخَالِفَ هَذَا النُّصْحَ ، عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتَّهْلُكَةِ ، وَخَسِرَ سَعَادَتَهُ
وَحَيَاتَهُ جَمِيعًا . »

٢ - قِنَاعَةُ الْأَمِيرِ

وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنِّي تَعَوَّدْتُ - مِنْذُ نَشَأْتِي - الطَّاعَةَ ، وَرُضْتُ نَفْسِي
عَلَى الْقِنَاعَةِ . فَاتَّبَعْتُ النُّصْحَ الَّذِي قَرَأْتُهُ ، وَصَعِدْتُ الدَّرَجَ ، وَأَخَذْتُ مِفْتَاحَ
الْقَصْرِ مِنْ عُنُقِ الْفَتَاةِ ، دُونَ أَنْ يُسَاوِرَنِي الطَّمَعُ فِي أَخْذِ مَا عَدَاهُ .
ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَهُوَ مَصْنُوعٌ مِنْ خَشَبِ السَّرْوِ ، وَبِهِ نَقْشٌ
بَارِزٌ يُمَثِّلُ طَائِفَةً مُخْتَلِفَةً مِنَ الطَّيْرِ ، وَعَلَيْهِ قُفْلٌ كَبِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ عَلَى

هَيْئَةِ أَسَدٍ . فَمَا إِنْ وَضَعْتُ الْمِفْتَاحَ فِي الْقُفْلِ حَتَّى انْفَتَحَ قَبْلَ أَنْ أُدِيرَ فِيهِ
 الْمِفْتَاحَ . فَتَعَجَّبْتُ مِمَّا رَأَيْتُ . وَلاَحَتْ مِنِّي التِّفَاتَةُ ، فَأَبْصَرْتُ سُلَمًا
 مِنْ الرُّخَامِ الْأَسْوَدِ ، فَصَعِدْتُهُ وَدَخَلْتُ بِهِوَ كَبِيرًا مَزِينًا بِالْثُرَيَّاتِ الْبَلُّورِيَّةِ
 وَالطَّنَافِسِ الْحَرِيرِيَّةِ الْمَذَهَّبَةِ ، وَبِهِ أَرَائِكُ مِنَ الدِّيَبَاجِ الْمَذَهَّبِ . فَأَسْلَمَنِي
 إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى ثَمِينَةَ الْأَثَاثِ . وَنَظَرْتُ فَإِذَا سَيِّدَةٌ فِي مُقْتَبَلِ
 شَبَابِهَا ، نَائِمَةٌ عَلَى إِحْدَى الْأَرَائِكِ ، مُسْنِدَةٌ رَأْسَهَا إِلَى وَسَادَةِ حَرِيرِيَّةٍ ،
 وَقَدِ ارْتَدَّتْ أَنْفَسَ الثِّيَابِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا نَضْدٌ مِنَ الْمَرْمَرِ .

وَاقْتَرَبْتُ مِنْهَا ، فَرَأَيْتُهَا مُغْمَضَةً الْعَيْنَيْنِ . وَاسْتَمَعْتُ إِلَى أَنْفَاسِهَا
 الْخَافِتَةِ ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّهَا لَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . وَعَجِبْتُ لَوْجُودِهَا وَحَدِّهَا
 فِي هَذَا الْقَصْرِ الْمُنْفَرِدِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمُقْفَرَةِ . وَخَطَرَ لِي أَنْ أَوْقِظَهَا
 مِنْ نَوْمِهَا ، وَلَكِنِّي أَحْجَمْتُ حَتَّى لَا أَنْغِصَ عَلَيْهَا صَفْوَرًا رَاحَتِهَا ، وَأُكْدِّرَ
 عَلَيْهَا هَنَاءَ رَقْدَتِهَا . فَغَادَرْتُ الْقَصْرَ ، مُعْتَزِمًا عَوْدَتِي إِلَيْهِ بَعْدَ سَاعَاتٍ .

٣ - عَجَائِبُ الْجَزِيرَةِ

ثُمَّ اسْتَأْنَفْتُ تَجْوَالِي فِي الْجَزِيرَةِ ، فَرَأَيْتُ عَجَائِبَ مِنْ طَيْرِهَا وَحَيَوَانِهَا
 وَحَشَرَاتِهَا لَمْ أَرَ لَهَا مَثِيلًا فِي غَيْرِهَا . فَقَدْ شَهِدْتُ مِنْ غَرَائِبِهَا مَخْلُوقَاتٍ

لَا أَدْرِي كَيْفَ أُسَمِّيهَا . فَهِيَ تَبْدُو فِي هَيْئَةِ النَّمْلِ وَحَجْمِ النَّمِرَةِ . وَقَدْ
 حَسِبْتُهَا — أَوَّلَ مَا رَأَيْتُهَا — مُفْتَرَسَةً ، فَتَأَهَّبْتُ لِصِرَاعِهَا . وَلَكِنَّهَا أَسْرَعَتْ
 بِالْفِرَارِ حِينَ رَأَيْتَنِي . وَلَقِيتُ أَنْوَاعًا أُخْرَى مِنْ مُخْتَلِفِ الْحَيَوَانِ ، تَبَعْتُ
 هَيْئَتَهَا عَلَى الرَّعْبِ وَالْفَزَعِ . وَلَكِنَّهَا سُرْعَانَ مَا نَفَرْتُ مِنِّي ، وَجَادَتْ عَنْ
 طَرِيقِي ، دُونَ أَنْ تَمَسَّنِي بِأَذَى . وَعُدْتُ إِلَى الْقَصْرِ بَعْدَ سَاعَةٍ ، فَرَأَيْتُ الْفَتَاةَ
 لَا تَزَالُ غَارِقَةً فِي نَوْمِهَا .

٤ — انْتِبَاهُ الْأَمِيرَةِ

وَاشْتَدَّتْ رَغْبَتِي فِي مُحَادَثَتِهَا ، لِأَتَعَرَّفَ طَرَفًا مِنْ قِصَّتِهَا ؛ فَأَثَرْتُ
 شَيْئًا مِنَ الضَّجِيجِ ، وَسَعَلْتُ مَرَّاتٍ ، فَلَمْ تَسْتَيْقِظْ ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَحَرَّكْتُهَا
 بِيَدِي ، فَلَمْ تَشْعُرْ وَلَمْ تَتَحَرَّكْ . فَأَشْتَدَّ عَجْبِي ، وَسَاوَرَنِي الشَّكُّ فِي أَمْرِهَا ،
 وَقُلْتُ فِي نَفْسِي :

« لَعَلَّهَا مَسْحُورَةٌ . فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيقَاضِهَا مِنْ سُبَاتِهَا ؟ »

وَإِنْتَابَنِي الْيَأْسُ مِنْ تَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ ، فَهَمَمْتُ بِالْعَوْدَةِ . وَحَانَتْ
 مِنِّي الْفِتَاةُ ، فَرَأَيْتُ — عَلَى الْمَائِدَةِ الْمَرْمَرِيَّةِ — الْكَلِمَاتِ التَّالِيَةَ :

« مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْأَمِينُ . لَقَدْ بَرَكَكَ اللَّهُ مِنَ الطَّمَعِ ، فَظَفَرْتَ بِالْقَصْرِ

السَّعِيدِ . فَاهْمِسْ فِي أُذُنِ الْفَتَاةِ بِاسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ وَجَدِّكَ ، تَسْتَيْقِظُ عَلَى الْفَوْرِ
مِنْ نَوْمِهَا الْعَمِيقِ . «

فَأَذَعَنْتُ لِمَا أُمِرْتُ . وَمَا إِنْ نَطَقْتُ بِاسْمِي وَاسْمَى أَبِي وَجَدِّي حَتَّى
تَنَفَّسَتْ الْفَتَاةُ الصُّعْدَاءَ ، ثُمَّ فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا وَانْتَبَهَتْ . وَلَمْ تَكُنْ دَهْشَتُهَا
لِرُؤْيِي بِأَقْلٍ مِنْ دَهْشَتِي لِرُؤْيَيْهَا ، فَابْتَدَرْتَنِي قَائِلَةً : « يَا لَكَ مِنْ مِقْدَامِ
شُجَاعِ الْقَلْبِ ، كَرِيمِ النَّفْسِ . وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا تَخَطَّيْتَ الْعَوَائِقَ وَالْمُغْرِيَاتِ
الَّتِي أَهْلَكَتْ غَيْرَكَ مِمَّنْ حَاوَلُوا دُخُولَ الْقَصْرِ ، وَهِيَ - بِلَا رَيْبٍ - فَوْقَ
مَقْدُورِ الْإِنْسَانِ ! تَرَى مَنْ تَكُونُ ؟ أَجِنِّي أَنْتَ أُمُّ مَلِكٍ ؟ »

فَقُلْتُ لَهَا : « كَلَّا - يَا سَيِّدَتِي - مَا أَنَا بِجِنِّيٍّ وَلَا مَلِكٍ ، بَلْ أَنَا
إِنْسَانٌ عَادِيٌّ ، قَدِمَ عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مُصَادَفَةً ، وَسَاقَتْهُ قَدَمَاهُ - عَنْ غَيْرِ
قَصْدٍ - إِلَى هَذَا الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنِينَ ، وَأَظْفَرَهُ الْحِظُّ السَّعِيدُ بِمِفْتَاحِهِ فِي
غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا عَنَاءٍ . » فَقَالَتِ الْفَتَاةُ : « لَنْ يَتِمَّ هَذَا إِلَّا لِأَمِيرٍ فَاضِلٍ كَرِيمٍ
لَا يُخَامِرُ نَفْسَهُ الطَّمَعُ ، وَلَا تَفْتِنُهُ الْمُغْرِيَاتُ . فَمَنْ تَكُونُ ؟ »

فَرَوَيْتُ لَهَا مَا لَقِيتُ فِي رِحْلَتِي مِنْ غَرَائِبِ الْأَحْدَاثِ ، وَكَاشَفْتُهَا بِمَا
شَعَرْتُ بِهِ مِنْ حُزْنٍ عَمِيقٍ لِفِقْدَانِ صَدِيقِي « كَاشِفٍ » بَعْدَ أَنْ نَجَا كِلَانَا
مِمَّا تَعَرَّضَ لَهُ مِنْ مُهْلِكَاتٍ .

٥ - حَدِيثُ الْبَيْغَاءِ

وَهِيَ سَمِعَتْ صَوْتًا يَهْتَفُ قَائِلًا: « لَا تَأْسَفْ عَلَى صَاحِبِكَ وَلَا تَحْزَنْ ،
فَقَدْ أَهْلَكَهُ الطَّمَعُ . وَلَوْ خَلَصْتَ نَفْسَهُ مِنَ الْجَشَعِ ، كَمَا خَلَصْتَ مِنَ
الْخَوْفِ ؛ لَكَانَ جَدِيرًا مِثْلَكَ بِدُخُولِ هَذَا الْقَصْرِ السَّعِيدِ . »

وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ بَيْغَاءَ فَصِيحَةَ اللِّسَانِ تَنْطِقُ بِهَذَا الْكَلَامِ ، فَسَأَلْتُهَا مُتَعَجِّبًا :

« خَبِّرِي نِي - بِاللَّهِ - كَيْفَ أَهْلَكَ الطَّمَعُ صَدِيقِي « كَاشِفًا ؟ »

فَقَالَتْ الْبَيْغَاءُ : « كُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الطَّمَعَ وَمُخَالَفَةَ النُّصِيحِ هُمَا اللَّذَانِ
انْتَهَيَا بِصَاحِبِكَ إِلَى الْهَلَاكِ ؛ فَقَدْ رَأَى تَمَثَالَ الْفَتَاةِ كَمَا رَأَيْتَهُ ، وَأَغْرَاهُ
الطَّمَعُ بِانْتِزَاعِ الْعِقْدِ اللُّؤْلُؤِيِّ مِنْ جِيدِ الْفَتَاةِ ، وَمَا كَادَ يَلْمِسُهُ حَتَّى ضَرَبَهُ
أَحَدُ الْحَارِسِينَ بِسَيْفِهِ ، وَطَعَنَهُ الْآخِرُ بِرُمْحِهِ ، فَقُتِلَ مِنْ فَوْرِهِ ؛ ثُمَّ جَاءَتْ
حَشَرَاتُ الْجَزِيرَةِ وَحَيَوَانُهَا فَأَكَلَتْهُ ، وَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ شَيْئًا ، كَمَا أَكَلْتَ غَيْرَهُ
مِنْ رُؤَادِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الطَّامِعِينَ . وَلَوْ طَمِعْتَ مِثْلَهُ وَفَعَلْتَ فِعْلَهُ لَلْقَيْتَ
مِثْلَ مَصْرَعِهِ ، فَقَدْ عَنِي مُبْدِعُ هَذَا التَّمَثَالِ بِاخْتِبَارٍ مَنْ يَفِدُ عَلَى هَذَا الْقَصْرِ ،
فَنَثَرَ اللَّالِيَّ وَالْأَحْجَارَ الْكَرِيمَةَ حَوْلَ التَّمَثَالِ لِيَتَعَرَّفَ الطَّبَاعُ ،
بَعْدَ أَنْ تَقَشَّ عَلَى اللُّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ إِلَى جَانِبِ التَّمَثَالِ تَحْذِيرَهُ لِلطَّامِعِينَ

وَإِنْذَارَهُ لِلْمُعَاوِرِينَ . فَإِذَا شَغَلَتِ النَّفَائِسُ أَحَدَ الرُّوَادِ عَنِ مِفْتَاحِ الْقَصْرِ ؛
 كَانَ غَيْرَ جَدِيرٍ بِالسَّعَادَةِ . فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى خُلُوصِ نَفْسِكَ مِنَ الطَّمَعِ فِيمَا
 لَيْسَ لَكَ ، وَصَفَاءِ قَلْبِكَ مِمَّا تَعَرَّضَ لَهُ صَاحِبُكَ مِنَ الْهَلَاكِ . فَقَدْ وَسَّوسَ
 لَهُ الشَّيْطَانُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « أَمِنْ أَجْلِ هَذَا التَّحْذِيرِ
 السَّخِيفِ أَتْرُكُ هَذِهِ النَّفَائِسَ ؟ وَلِمَنْ أَثْرُ كُهَا ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَحْرِمَنِي إِيَّاهَا ؟ وَهَلْ يَقْدِرُ تَمَثُّالٌ عَاجِزٌ عَنِ الْحَرَكَةِ أَنْ يُعَاقِبَ أَحَدًا ؟ »

٦ - فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ

فَلَمَّا انْتَهتِ الْبِغَاءُ مِنْ كَلَامِهَا ، تَمَلَّكَنِي الْعَجَبُ مِمَّا سَمِعْتُ ، وَاشْتَدَّ بِي
 الْأَسْفُ لِمَصْرَعِ صَاحِبِي « كَاشِفِ » الَّذِي أَوْرَدَهُ الْحِرْصُ مَوْرِدَ الْهَلَاكِ .
 وَسَأَلْتُ الْفَتَاةَ أَنْ تُحَدِّثَنِي بِقِصَّتِهَا ، وَكَيْفَ حَلَّتْ بِهِذَا الْقَصْرِ .
 فَقَالَتِ الْفَتَاةُ : « لِذَلِكَ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ ، إِنَّهَا مُفَاجِئَةٌ لَمْ تَكُنْ لِي فِي الْحِسْبَانِ
 وَلَمْ تَخْطُرْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عَلِيٍّ بِالِ ، فَقَدْ »

وَهُنَا شَعَرْتُ أَنَّ يَدًا رَفِيقَةً تَرْفَعُنِي إِلَى السَّمَاءِ ، وَتَحْمِلُنِي مُحَلَّقَةً بِي فِي
 أَجْوَازِ الْفَضَاءِ . وَسُرْعَانَ مَا اسْتَخْفَى الْقَصْرُ وَالْفَتَاةُ عَنِّي نَاطِرِي ، وَلَمْ أَبْثُ
 إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى رَأَيْتُنِي هَابِطًا إِلَى الْأَرْضِ أَمَامَ بَابِ الْمَدِينَةِ ، دُونَ أَنْ

يَتَّبِعِينَ لِي : أَيُّ قُوَّةٍ خَفِيَّةٍ نَقَلْتَنِي مِنَ الْقَصْرِ السَّعِيدِ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ فِي
مِثْلِ لَمَحِ الْبَصْرِ ؟

وَرَأَيْتُ جَيْشَ ضَيْفِنَا الْعَزِيزِ مُرَابِطًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلْتُهُمْ عَمَّا جَاءَ
بِهِمْ ، فَلَمْ يُخْفُوا عَنِّي شَيْئًا . «

٧ - مُفَاجَأَةٌ جَدِيدَةٌ

وَأَرَادَ الْأَمِيرُ أَنْ يُوَاصِلَ حَدِيثَهُ ، لَوْلَا أَنَّ مُفَاجَأَةً جَدِيدَةً عَقَدَتْ
لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ .

يَا لَلْعَجَبِ ! هَاهِي ذِي فَتَاةُ الْقَصْرِ السَّعِيدِ تَبْدُو مَاثِلَةً أَمَامَهُ ! فَمَا إِنْ
يَرَاهَا الْأَمِيرُ « إِقْبَالَ » حَتَّى يَخْفَ إِلَى لِقَائِهَا فِي لَهْفَةٍ وَشَوْقٍ ، وَلَا يَتَمَالَكُ
أَنْ تَنْدَمِنَهُ صَرْخَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ : « رَبَّاهُ ! مَرْحَبًا بِكَ يَا « وَادِعَةٌ » وَافْرَحْتَاهُ !
مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ يَا أُخْتَاهُ ؟ وَكَيْفَ كُتِبَتْ لَكَ النِّجَاةُ ؟ » فَقَالَ الْأَمِيرُ
« فَاضِلْ » : « مَا أَعْجَبَ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ ! أَلَا مَا أَسْعَدَنِي بِلِقَاءِ الْأَخْوَيْنِ
وَاجْتِمَاعِ الشَّتِيتَيْنِ . » وَأَسْرَعَتْ « رَائِعَةٌ » إِلَى ضَيْفِنَا « وَادِعَةٌ » تُعَانِقُهَا ، وَتُرْحَبُ
بِهَا ، وَتُهْنِئُهَا بِسَلَامَتِهَا وَاجْتِمَاعِ شَمْلِهَا بِأَخِيهَا .

٨ - قِصَّةُ الْأَمِيرَةِ

وَاشْتَدَّ الشَّوْقُ إِلَى تَعْرِفِ قِصَّتِهَا . فَابْتَدَرَهَا أَخُوهَا قَائِلًا : « لَقَدْ انْقَطَعَتْ
 أَخْبَارُكَ يَا «وَادِعَةَ» حَتَّى كَادَ يَدِبُّ الْيَأْسُ إِلَيْنَا مِنْ عَوْدَتِكَ بَعْدَ أَنْ أَعْيَانَا
 الْبَحْثُ عَنْكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ : وَلَا تَسْأَلِي عَمَّا أَنْتَابَ أَبَاكَ الْمَلِكَ «عَاصِمًا»
 مِنْ الْأَلَمِ ، فَقَدْ بَرَّحَ بِهِ الْحُزْنَ ، وَالْحَّ عَلَيْهِ الْأَسَى ؛ فَأَسْلَمَاهُ إِلَى الْمَرَضِ .
 ثُمَّ زَارَنِي فِي نَوْمِي شَيْخٌ نَهِيْبُ الطَّلَعَةِ ، رَائِعُ السَّمْتِ ، فَابْتَدَرَنِي
 بِالتَّحِيَّةِ ، ثُمَّ أَمَرَنِي أَنْ أُسْرِعَ بِالرَّحِيلِ مَعَ نُجْبَةٍ مِنْ جَيْشِي ، لِأَنَّ مُفَاجَأَةً
 سَعِيدَةً تَنْتَظِرُنِي بَعْدَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا قُمْتُ مِنْ نَوْمِي حَسِبْتُ مَا رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ
 أَصْفَاتِ أَحْلَامٍ ، ثُمَّ تَكَرَّرَتِ الرُّؤْيَا فِي الْيَوْمَيْنِ التَّالِيَيْنِ . فَلَمَّا قَصَصْتُهَا
 عَلَى أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَى مِثْلَ هَذِهِ الرُّؤْيَا فِي ثَلَاثِ اللَّيَالِي الْمَاضِيَةِ :
 أَمْسٍ وَأَوَّلِ أَمْسٍ وَأَوَّلِ مِنْ أَمْسٍ ، وَسَمِعَ الشَّيْخُ يَأْمُرُهُ أَنْ يُعِدَّ
 السَّفَائِنَ لِتَرْحِيلِ وَلَدِهِ ، فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ مُسْتَطَاعٍ ، وَيُبَشِّرُهُ بِمُفَاجَأَةٍ سَعِيدَةٍ
 تَنْتَظِرُهُمَا فِي نِهَائَةِ هَذِهِ الرَّحْلَةِ .

فَاطْمَأَنَّتْ نَفْسِي ، وَارْتَاحَ بَالِي لِمَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، وَأَبْجَرْتُ فِي
 صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ مَعَ نُجْبَةٍ مِنْ أَصْفِيَائِي ، وَانْتَهتِ الرَّحْلَةُ الْعَاصِفَةُ بِهَذِهِ
 الْخَاتِمَةِ السَّعِيدَةِ . فَخَبَّرَنِي - يَا أُخْتَاهُ - مَاذَا حَجَبَكَ عَنَّا طُولَ هَذَا الْوَقْتِ ؟

فَقَالَتْ : « كُنْتُ نَائِمَةً فِي مَخْدَعِي بِحَدِيقَةِ قَصْرِ الرَّبِيعِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى الْبَحْرِ ،
وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ قَمْرَاءَ ، فَلَمْ أُسْتَيْقِظْ مِنْ نَوْمِي إِلَّا فِي أَصِيلِ الْيَوْمِ التَّالِي .
وَلَا تَسَلُّ عَنْ دَهْشَتِي حِينَ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْغُرَبَاءِ يُحِيطُونَ بِي ، وَيَتَلَطَّفُونَ
فِي تَسْكِينِ ثَائِرَتِي ، وَلَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي جَلْبِ الطَّمَأْنِينَةِ إِلَى نَفْسِي . ثُمَّ
يَقُولُ لِي كَبِيرُهُمْ مُتَوَدِّدًا : « لَا تَخْشَى - أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ - وَلَا تَيْئَسِي ، فَلَنْ
يَنَالَكَ أَدَى وَلَا سُوءٌ . إِنَّ السَّعَادَةَ لَتَنْتَظِرُكَ . فَقَدْ اخْتَارَكَ مَوْلَانَا
« مَرْمُوشٌ » مَلِيكَ الْهِنْدِ الْأَعْظَمِ ، لِتَكُونِي عَرُوسَهُ . فَلَمَّا ضَنَّ عَلَيْهِ أَبُوكَ
بِتَحْقِيقِ أَمْنِيَّتِهِ ، عَرَضَ الْأَمْرَ عَلَى وَزِيرِهِ « أُبُوشِ » فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاخْتِطَافِكَ .
وَلَنْ تَلْقَى عِنْدَ مَلِكِنَا غَيْرَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ . »

فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِمْ أَنْ يُعِيدُونِي إِلَى أَبِي ، فَلَمْ يُصْغِرْ إِلَى رَجَائِي أَحَدٌ .

فَأَعْمَلْتُ الْحِيلَةَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُمْ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَنِي وَجْهَ الصَّوَابِ ،
وَيُنَجِّبَنِي مِنْ أَسْرِ هَؤُلَاءِ الْغَاصِبِينَ .

وَسَارَتْ بِنَا السَّفِينَةَ فِي الْبَحْرِ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ حَلَّتْ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي
بِشَاطِئِ جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ ، فَأَقْتَرَحَ أَحَدُهُمْ أَنْ نَسْتَرِيحَ فِيهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ نَسْتَأْنِفَ
سَيْرَنَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . وَقَضَيْنَا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ تَفَرَّقَ فِيهَا أَوْلَئِكَ

الرِّجَالُ يَجُوبُونَ أَنْحَاءَ الْجَزِيرَةِ، وَبَقِيَتْ مُنْفَرِدَةً إِلَى الْمَسَاءِ دُونَ أَنْ يَعُودَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَصَعِدْتُ إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، وَنَمْتُ بَيْنَ أَغْصَانِهَا إِلَى الصَّبَاحِ وَأَنَا أَفَكِّرُ فِي وَسِيلَةِ اللُّهْرَبِ مِنْهَا. وَلَبِثْتُ فِي الْجَزِيرَةِ أَيَّامًا آكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، وَأَنَامُ فَوْقَ أَشْجَارِهَا، وَأَجُوسُ فِي أَنْحَائِهَا، حَتَّى سَاقَتْنِي قَدَمَايَ - ذَاتَ يَوْمٍ - إِلَى غَابَةِ كَبِيرَةٍ انْتَهَى بِي السَّيْرُ فِيهَا إِلَى الْقَصْرِ السَّعِيدِ .

٩ - تَرْحِيبُ الْبَيْغَاءِ

وَهُنَا حَدَّثْتَهُمُ الْأَمِيرَةُ عَنْ تِمَثَالِ الْفَتَاةِ حَدِيثًا يَكَادُ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا حَدَّثْتَهُمْ بِهِ الْأَمِيرُ « فَاضِلٌ »، وَقَصَّتْ عَلَيْهِمْ كَيْفَ أَخَذَتْ مِفْتَاحَ الْقَصْرِ السَّعِيدِ، دُونَ أَنْ يُغْرِيَهَا الطَّمَعُ بِاِغْتِصَابِ حُلِيِّهَا وَانْتِهَابِ لَائِهَا، وَكَيْفَ فَتِحَ لَهَا بَابُ الْقَصْرِ السَّعِيدِ عَلَى مِضْرَاعِيهِ، وَكَيْفَ اسْتَقْبَلَتْهَا الْبَيْغَاءُ « صَبِيحَةٌ » : حَارِسَةُ الْقَصْرِ، فَرَحَانَةٌ بِمَقْدَمِهَا، وَكَيْفَ أَفْضَتْ إِلَيْهَا بِمَا لَقِيَهُ خَاطِفُهَا مِنْ جَزَاءٍ عَادِلٍ .

قَالَتِ الْبَيْغَاءُ : « كَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَنْ يُعْرَجَ أَعْوَانُ « مَرْمُوشٍ » عَلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، بَعْدَ أَنْ نَثَرُوا فِي حُجْرَةِ نَوْمِكَ عِطْرًا مَرْقِدًا (مُنَوْمًا)

ثُمَّ خَطَفُوكَ مِنْ قَصْرِ الرَّبِيعِ ، دُونَ أَنْ يَفْطُنَ إِلَى خَدِ يَعْتِهِمْ أَحَدٌ ، لِيَقْدَمُوكَ
 هَدِيَّةً لِلْمَلِكِ « مَرْمُوشٍ » فَسَأَلَتْ الْبَيْغَاءُ : « وَمَاذَا كَانَ مَصِيرُ الْخَاطِفِينَ ؟ »
 فَقَالَتْ « صَبِيحَةٌ » : « تَفَرَّقُوا يَتَزَهَّوْنَ فِي أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ ، وَشَغَلَهُمْ
 طِيبُ جَوْهَا ، وَجَمَالُ هَوَائِهَا ، وَلَذِيذُ ثَمَارِهَا ، عَنِ الْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهِمْ .
 وَسَاقَهُمْ سُوءُ حَظِّهِمْ - وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ - إِلَى تِمِثَالِ الْفَتَاةِ ، فَشَغَلَتْهُمْ حُلِيِّهَا
 وَنَقَائِصُهَا عَنِ مِفْتَاحِ الْقَصْرِ ، وَأَنْسَتَهُمْ مَا قَرَأُوا مِنْ نَذِيرٍ وَتَحْذِيرٍ . فَقَتَلَهُمْ
 الْحَارِسَانِ ، وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِمُ الضَّوَارِي (الْوُحُوشُ الْمُفْتَرِسَةُ) وَالْحَشَرَاتُ .
 فَالْتَمَتَهُمْ فِي لَحْظَاتٍ . وَهَكَذَا هَلَكُوا مُتَفَرِّقِينَ ، دُونَ أَنْ يَفْطُنَ أَحَدُهُمْ
 لِمَضْرَعٍ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الطَّامِعِينَ . »

وَسَأَلَتْ الْبَيْغَاءُ : « كَيْفَ يُتَاحُ لِي الْخُرُوجُ مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ؟ »
 فَقَالَتْ : « لِكُلِّ شَيْءٍ أَوَانٌ ، وَلِكُلِّ زَرْعٍ إِبَانٌ (وَقْتُ) . وَسَيَتِمُّ
 خَلَاصُكَ مِنْ كُرْبَتِكَ ، وَإِيقَاطُكَ مِنْ نَوْمَتِكَ ، عَلَى يَدِ أَمِيرِ فَاضِلِ شُجَاعٍ ،
 سَيِّدِ مُطَاعٍ ، كَرِيمِ الْأَصْلِ ، رَاجِحِ الْعَقْلِ . فَاصْبِرِي يَا فَتَاةُ ، وَمَا صَبْرُكَ
 إِلَّا بِاللَّهِ . »

١٠ - نَوْمٌ وَ يَقْظَةٌ

وَهُنَا شَعَرْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ ، فَأَلْقَيْتُ بِجِسْمِي الْمَجْهُودِ عَلَى سَرِيرٍ قَرِيبٍ . وَأَسْلَمْتُ جَفْنِي لِلرُّقَادِ ، وَمَا زِلْتُ نَائِمَةً حَتَّى أَيَقْظَنِي هَذَا الْأَمِيرُ الْفَاضِلُ مِنْ سُبَاتِي الْعَمِيقِ . «

ثُمَّ قَصَّتِ الْفَتَاةُ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَمِيرِ « فَاضِلٍ » مِنْ حِوَارٍ ، وَكَيْفَ اسْتَخْفَى عَنْ عَيْنَيْهَا ، وَغَابَ عَنْ نَاطِرِيهَا ، ثُمَّ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا النَّوْمُ مَرَّةً أُخْرَى . فَلَمَّا انْتَبَهَتْ مِنْ رُقَادِهَا ، رَأَتْ الْقَصْرَ السَّعِيدَ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ بِجَوَارِ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ، وَسَمِعَتْ الْبَيْغَاءَ « صَبِيحَةَ » تُنَادِيهَا ، وَتَرْجُوهَا أَنْ تُسْرِعَ إِلَى لِقَاءِ أَخِيهَا ، وَتَدْعُوهُ - مَعَ جُنْدِهِ وَأَصْحَابِهِ - لِمِيزَانِ زِيَارَةِ الْقَصْرِ السَّعِيدِ ، لِيَتِمَّ عَلَى أَيْدِيهِمْ مَا بَدَأُوهُ مِنْ صَنِيعٍ مَجِيدٍ .

الفصل السابع

١ - أسماء الأُمراء

كَانَ الْقَصْرُ السَّعِيدُ - كَمَا رَأَاهُ زَائِرُوهُ - آيَةً مِنْ آيَاتِ الْفَنِّ الْعَالِيِ
وَالذَّوْقِ السَّلِيمِ . فَلَا عَجَبَ إِذَا دَهَشَ الْأُمْرَاءُ وَالْجُنْدُ حِينَ ارْتَادُوا حَدَائِقَهُ
وَأَبْهَاءَهُ ، وَشَهِدُوا أَضْوَاءَهُ وَالْأَلَاءَهُ . وَلَا تَسَلْ عَنْ ابْتِهَاجِهِمْ بِمَا شَهِدُوهُ مِنْ
جَمَالِ تَصَاوِيرِهِ ، وَبِرَاعَةِ هَنْدَسَتِهِ . وَقَدْ قَضَى الْأُمْرَاءُ أُمْسِيَّةً حَافِلَةً بِجَالِبَاتِ
الْبَهْجَةِ ، وَبَاعِثَاتِ السُّرُورِ ، وَقَدْ حَفَلَتْ مَوَائِدُهُمْ بِمَا لَذَّ وَطَابَ ، مِنْ طَعَامٍ
وَشَرَابٍ . فَظَلَّ الْأُمْرَاءُ يَسْمُرُونَ جَانِبًا مِنَ اللَّيْلِ .

تَسَأَلُنِي : أَيُّ حَدِيثٍ كَانَ مَوْضُوعَ حِوَارِهِمْ ، وَمَدَارَ سَمَرِهِمْ ؟
وَمَا أَحْسَبُكَ إِلَّا عَارِفًا بِجَوَابِ سُؤَالِكَ ، فَلَنْ يَغِيبَ عَنْ فِطْنَتِكَ أَنَّ حِوَارَهُمْ
لَمْ يَعُدَّ الْحَدِيثَ عَمَّا لَاقَوْهُ فِي سَفَرِهِمْ مِنْ مُدْهَشَاتٍ وَغَرَائِبَ ، وَمَا تَعَرَّضُوا
لَهُ فِي رِحْلَتِهِمْ مِنْ كَوَارِثَ وَمَصَائِبَ ، وَكَيْفَ اجْتَمَعَ الشَّمْلُ الشَّتِيْتُ ، بَعْدَ
أَنْ طَوَّحَتْ بِهِمُ الْأَقْدَارُ فِي مَطَارِحِ الْأَرْضِ ؛ فَتَسُوا بِذَلِكَ كُلِّ مَا اعْتَرَضَهُمْ

مِنْ مِصَائِبَ وَمِجَنِّ . ثُمَّ عَرَّجُوا عَلَى مَا أَصَابَ مَدِينَةَ النُّحَاسِ ، وَمَا لَحِقَ بِسَاكِنِيهَا مِنْ طَيْرٍ وَحَيَوَانٍ وَنَاسٍ . وَرَاحُوا يُقَلِّبُونَ الْأَمْرَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى سَبَبٍ يُعَوَّلُونَ عَلَيْهِ ، أَوْ تَعْدِيلٍ تَرْتَاحُ عُقُولُهُمْ إِلَيْهِ .

٢ - كَشْفُ السُّتَارِ

وَهُنَا قَالَتِ الْبَيْغَاءُ « صَبِيحَةَ » : « عِنْدِي جَوَابُ مَا تَسْأَلُونَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ لِمَا أَقُولُ سَامِعُونَ ؟ » فَقَالُوا لَهَا فِي شَوْقٍ وَلَهْفَةٍ : « آذَانُنَا لِحَدِيثِكَ سَامِعَةٌ ، وَقُلُوبُنَا لِمَا تَقُولِينَ وَاعِيَةٌ . »

فَقَالَتِ الْبَيْغَاءُ : « لَعَلَّ الْأَمِيرَيْنِ « فَاضِلًا » وَأُخْتَهُ « رَائِعَةَ » لَا يَعْرِفَانِ الْكَثِيرَ عَنِ الْمَلِكِ « فُرْهُودِ » : جَدَّهُمَا لِأَبِيهِمَا ، وَلَا عَنِ ابْنِ عَمِّهِ الْأَمِيرِ « سَوَدَلِ » : جَدَّهُمَا لِأُمِّهِمَا . وَقَدْ آذَانَ لَهُمَا أَنْ يَعْرِفَا مَا كَانَ لِجَدَّهُمَا « فُرْهُودِ » مِنْ شَأْنٍ عَظِيمٍ ، وَفَضْلِ عَمِيمٍ . فَقَدَّ ذَاعَ صَيْتُهُ فِي الْبِلَادِ ، بِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ عَدْلِ وَحَزْمٍ وَرَشَادٍ . وَكَانَ مَوْضِعَ إِجْلَالِ مُلُوكِ عَصْرِهِ قَاطِبَةً ، وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ .

٣ - رُؤْيَا « فُرْهُودِ »

وَقَدْ رَأَى فِي نَوْمِهِ قَبِيلَ وَفَاتِهِ دَابَّةً غَرِيبَةَ الشَّكْلِ ، لَهَا ذَيْلٌ تُعْبَانِ

وَجَسْمٌ سَمَكَةٌ ، وَجَنَاحَا نَسْرٌ ، وَوَجْهُ بُومَةٌ . وَشَهِدَهَا تَطِيرُ فِي الْفَضَاءِ حَتَّى تَبْلُغَ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ ، ثُمَّ تَعُودُ مُنْدَفِعَةً إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتَحُلُّ فِي حَدِيقَةِ قَصْرِهِ ، فَتَنْعَبُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَسَمِعَ لِتَنْعَابِهَا الْكَرِيهَ صَوْتًا يُصَمُّ الْأَذَانَ . وَرَأَى الْحَدِيقَةَ قَدْ ذَوَتْ أَزْهَارُهَا ، وَصُوحَ نَبْتِهَا ، وَتَهَاوَى طَيْرُهَا ، وَدَبَّ الْمَوْتُ فِي أَرْجَائِهَا .

فَانْتَبَهَ الْمَلِكُ : « فُرْهُودٌ » مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا ، وَدَعَا ابْنَ عَمِّهِ الْأَمِيرَ : « سَوْدَلًا » ، وَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ ، فَقَالَ لَهُ « سَوْدَلٌ » : « لَا مَعْدَى لَنَا عَنْ اسْتِشَارَةِ « صَفْصَافَةَ » الْحَكِيمِ ، فَعِنْدَهُ تَأْوِيلُ هَذِهِ الرُّؤْيَا ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشِيرَ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ الرَّاجِحِ » .

وَكَانَ « صَفْصَافَةُ » سَاحِرَ عَصْرِهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ « فُرْهُودٌ » يُصْفِيهِ الْوُدُّ مُنْذُ طُفُولَتَيْهِمَا إِلَى أَنْ بَلَغَا سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ ، فَلَمَّا قَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَيْهِ أَطْرَقَ « صَفْصَافَةُ » مُتَجَهِّمًا ، وَقَالَ لِامْلِيكِهِ : « يَا لَهُ مِنْ حُلْمٍ خَطِيرٍ ، يَحْمِلُ فِي ثَنَائِهِ أَفْدَحَ النَّكَبَاتِ . وَلَا مَعْدَى لَنَا عَنِ التَّجَمُّلِ وَالصَّبْرِ ، حَتَّى يَنْفُذَ قِضَاءُ اللَّهِ فِيْنَا ، وَتَجْرِيَ أَحْكَامُهُ عَلَى ذَوِينَا . وَلَنْ يَثْنِيَنِي عَائِقُ عَنِ السَّعْيِ فِي تَهْوِينِ وَقَعِهِ الْأَلِيمِ ، وَتَخْفِيفِ ضَرَرِهِ الْجَسِيمِ ؛ مَا وَسِعَنِي الْجُهْدُ ، وَسَاعَفَنِي الْعِلْمُ .

فَأَمَّهَلَنِي شَهْرَيْنِ ، لَعَلِّي أَوْفَّقُ فِي مَسْعَايَ . »

وَعَابَ « صَفْصَافَةٌ » عَنْ مَلِيكِهِ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ فِي لَهْجَةِ الْمُطَمِّنِّ الْوَائِقِ : « كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٌ إِذَا حَسُنَتْ نَهَائِتُهُ ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَارِثَةَ الَّتِي تَحُلُّ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ لَنْ يَزِيدَ عُمرُهَا عَنْ عَامٍ وَنِصْفِ عَامٍ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَهْلِهَا الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ ، بَعْدَ أَنْ يَتَعَرَّضَ ثَلَاثَةٌ مِنْ كِرَامِ الْأَمْرَاءِ لِلْحِمَامِ (لِلْمَوْتِ) . وَقَدْ بَدَلْتُ مَا فِي وَسْعِي لِتَأْمِينِ الْمَدِينَةِ فِي خِلَالِ هَذِهِ الْمِحْنَةِ مِنْ كُلِّ طَامِعٍ فِي غَزْوِهَا ، أَوْ مُتَطَلِّعٍ لِنَهْبِهَا وَسَلْبِهَا . فَلَا يُسَاوِرُكَ الْهَمُّ ، وَلَا يُبْرِحُ بِكَ النِّعْمُ . وَفَوْضُ أَمْرِكَ لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَرَازِقِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ ؛ فَهُوَ أَبْرُّ بِنَا وَأَرْحَمُ ، وَأَرْفَقُ عَلَيْنَا وَأَكْرَمُ . »

فَسَأَلَهُ « فَرَهُودٌ » : أَقْرَبِيَّةُ هَذِهِ الْمِحْنَةِ ، أَمْ بَعِيدَةٌ ؟

فَأَجَابَهُ « صَفْصَافَةٌ » : « لَنْ تَقَعَ هَذِهِ الْمِحْنَةُ فِي عَهْدِكَ ، بَلْ فِي عَهْدِ « أُسَامَةَ » وَوَلَدِكَ . »

٤ - فَضْلُ « صَفْصَافَةٌ »

وَقَدْ صَدَقَ « صَفْصَافَةٌ » فِيمَا قَالَ ، وَبَرَّ بِمَا وَعَدَ ؛ وَكَانَ لِبِرَاعَتِهِ أَحْمَدُ

الأثر في تأمين الطريق ، وأكبر الجهد في تهيئة الوسائل لاجتماع الشمل ،
 فقد كان له الفضل في إقامة سور هذه المدينة العالی ، وتزويده بما نقشه
 من طلاسم وأرصاد ، لصدد الغزاة والرؤاد ، وما أعدده من فائنات الجوارى
 التي تلوح لكل من تحدته نفسه باقتحام السور ، فيندفع نحوهن ،
 وتدق عنقه قبل أن يصل إليهن . وبهذا ضمن ألا يفتح المدينة
 إلا ماجد كريم ، جدير بتفريج كربتها ، وتخليصها من محنتها .

ولم يقتصر على هذا الصنع المجيد ؛ فأنشأ في تلك الجزيرة النائية ،
 هذا القصر السعيد ، وأقامني وإخوتي من الجن فيه ، لنتولى حراسته .
 فكان مؤثلاً للأميرين مكيناً ، وحصناً حصيناً . وقد وضع فيه تمثال الفتاة
 الحسناء التي رآها الأميران ، ونثر حولها نفيس اللؤلؤ والمرجان ، لتغري
 الطامعين ، حتى لا يدخل القصر إلا مخلص أمين . «

ولما انتهت « صبيحة » من حديثها ، سألتها الأمراء الأربعة متلهفين :
 « وكيف وقعت الواقعة ؟ وأي ساحر دبر هذه الفاجعة ؟ » فقال الأمير
 « فاضل » : « لا ريب أنه الملك « مر موش » الحقود ووزيره « أنبوش » ،

فِكْلَاهُمَا عَدُوٌّ لَنَا لِدُودٍ، وَهُمَا بِأَمْثَالِ هَذِهِ الدَّسَائِسِ أَخْبِرُ، وَبِتَدْبِيرِ هَذِهِ
 الْمَكَايِدِ أَبْصِرُ، وَعَلَى تَنْفِيذِهَا أَقْدَرُ! « فَقَالَتْ « صَبِيحَةَ » : « لَوْ اسْتَطَاعَ
 « مَرْمُوشٌ » ذَلِكَ لَمَا تَوَانَى وَلَا قَصَرَ، وَلَا تَرَدَّدَ وَلَا تَأَخَّرَ، وَلَكِنَّهُ أَعْجَزُ عَنِ
 بُلُوغِ هَذِهِ الْغَايَةِ وَأَصْغَرُ، وَأَقْلُّ وَأَحْقَرُ. كَلَّا أَيُّهَا الْإِخْوَانِ - فَلَيْسَ لَهُ
 فِي هَذِهِ النَّكْبَةِ شَانٌ، وَلَا طَاقَةٌ لَهُ بِتَدْبِيرِهَا وَلَا يَدَانِ؛ بَلْ هِيَ مِحْنَةٌ غَيْرُ
 مُتَعَمِّدَةٍ وَلَا مَقْصُودَةٍ. وَلَوْ لَا لَطْفُ اللَّهِ، لَضَاعَ كُلُّ أَمَلٍ فِي انْفِرَاجِ
 الْأَزْمَةِ، وَكَشَفَ الْعُمَّةَ. « فَسَأَلَهَا الْأَمْرَاءُ مَدْهُوشِينَ: « كَيْفَ تَقُولِينَ؟ وَمَاذَا
 تَعْنِينَ؟ بِرَبِّكَ إِلَّا مَا أَفْصَحْتَ عَمَّا أَنْزَلَتْ، وَأَوْضَحْتَ لَنَا مَا أَبْهَمْتَ. »

٥ - السَّاحِرُ « عَوْسَجَةُ »

فَقَالَتْ « صَبِيحَةَ » : « كَانَ « صَفْصَافَةً » فِي عَصْرِهِ سَاحِرَ الْهِنْدِ
 الْأَكْبَرِ، كَمَا أَسْلَفْتُ لَكُمْ الْقَوْلَ. فَلَمَّا مَاتَ ظَهَرَ سَاحِرٌ آخَرٌ لَا يَقِلُّ
 عَنْ « صَفْصَافَةَ » قُدْرَةَ وَمَهَارَةَ، وَخِبْرَةَ بِالسَّحْرِ وَبِصَارَةَ. إِنَّهُ « عَوْسَجَةُ »
 السَّاحِرُ. وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرَ الْمَلِكِ « صَلْدَمٍ ». وَكَانَ يَهْدِي الْمَلِكُ كَمَا تَعْلَمُونَ
 خَادِعًا مَا كَرَّ، مُسْتَبَدًّا جَائِرًا، لَمْ يَتَوَرَّعْ عَنِ اغْتِيَالِ وَزِيرِهِ النَّاصِحِ الْأَمِينِ،
 بَعْدَ أَنْ أَخْلَصَ لَهُ النُّصْحَ وَأَصْفَاهُ الْوُدَّ. وَقَدْ شَهِدَ « عَوْسَجَةُ » - وَهُوَ فِي

مُقْتَبِلِ صِبَاهُ - كَيْفَ صَرَخَ « صَلْدَمٌ » الْغَادِرُ أَبَاهُ . فَهَرَبَ « عَوْسَجَةٌ » إِلَى
بِلَادِ التُّبَّتِ ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ قَاتِلِ أَبِيهِ ، وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ اللَّيْلَ
بِالنَّهَارِ حَتَّى بَرَعَ فِي فُنُونِ السَّحْرِ ، وَفَاقَ أَسَاتِذَتَهُ وَمُعَلِّمِيهِ ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ مَوْتِ
« صَفْصَافَةَ » سَاحِرَ الْهِنْدِ الْأَوْحَدِ .

٦ - بُوقُ « عَوْسَجَةٌ »

فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ عَكَفَ عَلَى تَدْبِيرِ وَسِيلَةٍ لِلْإِنْتِقَامِ مِنْ قَاتِلِ أَبِيهِ ،
فَلَبِثَ عِشْرِينَ عَامًا كَامِلَةً عَاكِفًا عَلَى صُنْعِ بُوقِهِ الذَّهَبِيِّ الصَّغِيرِ ، حَتَّى إِذَا
أَتَمَّهُ أَعَدَّ الْعُدَّةَ لِلسَّفْرِ إِلَى مَدِينَةِ « صَلْدَمٍ » : قَاتِلِ أَبِيهِ . وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ
سَيْرَهُ حَتَّى بَلَغَ مُنْتَصَفَ طَرِيقِهِ إِلَيْهِ . وَشَاءَتْ الْأَقْدَارُ أَنْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْمَقَامُ
عَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، فَيَسْتَمِعَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الثُّجَّارِ قَدِمُوا مِنْ بِلَادِ
عَدُوِّهِ ، فَيَتَعَرَّفَ مِنْ حَدِيثِهِمْ مَصْرِعَ « صَلْدَمٍ » ؛ وَكَيْفَ زَلَّتْ قَدَمُهُ وَهُوَ
يُطَارِدُ أَحَدَ الْغِزْلَانِ ، فَهَوَى مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ ، وَتَنَاطَرَتْ أَشْلَاءُ جِسْمِهِ ، وَاخْتَلَطَ
لَحْمُهُ بِعَظْمِهِ . وَهُنَا زَالَ غَضَبُ « عَوْسَجَةَ » وَانصَرَفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ ،
وَخَشِيَ أَنْ يَقَعَ الْبُوقُ الذَّهَبِيُّ الْمَسْحُورُ فِي يَدِ غَيْرِهِ ، فَيُسِيءَ بِهِ - عَنْ غَيْرِ
قَصْدٍ - إِلَى الْأَمِينِ ، فَأَلْقَى بِهِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَكَرَّ إِلَى وَطَنِهِ رَاجِعًا ، فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ

٧ - خصائصُ البوقِ

فسألتها الأمراءُ : « فأىُ سرِّ أو دَعَا السَّاحِرُ في هذا البوقِ الذي أَعَدَّهُ لِيَنْتَقِمَ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ؟ » فقالتُ « صَبِيحَةٌ » : « لَقَدْ أَوْدَعَ فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ السِّحْرِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْعَقْلُ . فَقَدْ يَسَّرَ لِنَافِخِهِ مِنْ فُنُونِ الْإِنْتِقَامِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ ، وَأَتَّاحَ لَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى النَّسْخِ وَالْمَسْخِ وَالْفَسْخِ وَالرَّسْخِ . فَسَأَلَهَا الْأُمَرَاءُ مُتَحَيِّرِينَ : « أَفَصِحِي بِرَبِّكَ عَمَّا تَقُولِينَ ، فَمَا نَحْنُ عَلَى فَهْمِ الْغَازِكِ بِقَادِرِينَ . مَاذَا تَعْنِينَ بِالنَّسْخِ وَالْمَسْخِ وَالْفَسْخِ وَالرَّسْخِ ؟ » فقالتُ « صَبِيحَةٌ » : « فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى يَنْتَقِلُ الْأَدْمِيُّ مِنْ صُورَتِهِ إِلَى صُورَةِ أَعْلَى وَأَشْرَفَ . وَفِي الثَّانِيَةِ يَنْتَقِلُ إِلَى صُورَةِ إِحْدَى الْبِهَائِمِ . وَفِي الثَّلَاثَةِ يَنْتَقِلُ إِلَى صُورَةِ بَعْضِ الْحَشَرَاتِ . وَفِي الرَّابِعَةِ يَتَحَوَّلُ نَبَاتًا أَوْ جَمَادًا . » فَصَرَخَ الْأُمَرَاءُ مَدْهُوشِينَ : « وَكَيْفَ يَتِمُّ ذَلِكَ لِمَنْ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ ؟ »

فقالتُ « صَبِيحَةٌ » : « حَسْبُهُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِهِ الصُّورَةَ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُتَحَوَّلَ إِلَيْهَا مِنْ يَشَاءُ ، أَوْ يَذْكَرَ عَلَى لِسَانِهِ اسْمَ حَيَوَانٍ أَوْ نَبَاتٍ أَوْ مَعْدِنٍ - خَسِيصًا كَانَ أَوْ حَقِيرًا - فَلَا تَنْقُضِي لِحَظَاتٍ قَلِيلَةً بَعْدَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الْبُوقِ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ ، حَتَّى يَبْلُغَ النَّافِخُ مُرَادَهُ ، وَيَتِمَّ لَهُ مَا أَرَادَهُ . « فَقَالَ « إِقْبَالٌ » : « لَقَدْ
 أَخْبَرْتَنَا أَنَّ « عَوْسَجَةَ » قَذَفَ الْبُوقَ فِي الْبَحْرِ ، فَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »
 فَقَالَتْ « صَبِيحَةُ » . « بَلَعْتُهُ سَمَكَةً ، وَجَاءَ صَيَّادٌ فَاصْطَادَهَا . وَمَرَّ
 بِالصَّيَّادِ نَسْرًا ، فَانْتَهَزَ مِنَ الصَّيَّادِ غَفْلَةً ، فَخَطَفَ السَّمَكَةَ ، ثُمَّ طَارَ بِهَا إِلَى
 قِمَّةِ الْجَبَلِ ، فَرَأَى ثَلَاثَةً مِنَ النَّاسِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ عُشِّهِ ، فَعَادَ بِهَا أَدْرَاجَهُ ،
 وَاسْتَقَرَّ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ فِي حَدِيقَةِ الْمَلِكِ ، فَأَكَلَ السَّمَكَةَ وَتَرَكَ الْبُوقَ ،
 وَلَمْ يَلْبَثِ الْبُوقُ أَنْ سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ . وَجَاءَ وَالدُّ الْبُسْتَانِيُّ فِي الْيَوْمِ
 التَّالِيِ فَرَأَى الْبُوقَ الذَّهَبِيَّ الصَّغِيرَ ، فَأَعْجَبَ بِمَنْظَرِهِ ، وَتَفَخَّ فِيهِ — عَنْ غَيْرِ
 قَصْدٍ — ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَإِذَا كُلُّ مَنْ بِالْمَدِينَةِ تَمَائِيلُ مِنَ النُّحَاسِ .
 فَسَأَلَتْهَا « رَائِعَةٌ » : « وَلِمَاذَا تَحَوَّلُوا نُحَاسًا وَلَمْ يَتَحَوَّلُوا شَيْئًا آخَرَ ؟ »
 فَقَالَتْ « صَبِيحَةُ » : « كَانَ وَالدُّ الْبُسْتَانِيُّ يَحْسَبُ الْبُوقَ الذَّهَبِيَّ بُوقًا
 مِنَ النُّحَاسِ ، فَاتَّجَهُ ذَهْنُهُ إِلَى هَذَا الْمَعْدِنِ . » فَقَالَ « فَاضِلُّ » : « الْآنَ ظَهَرَ أَنَّ
 « مَرْمُوشًا » لَا يَدَّ لَهُ فِي هَذِهِ النَّكْبَةِ . » فَقَالَتْ « صَبِيحَةُ » : « بَلْ كَانَ لَهُ يَدٌ
 فِي تَأْمِينِ الْمَدِينَةِ وَسَلَامَتِهَا . » فَقَالَتْ « وَاِدِعَةٌ » : « وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ »
 فَقَالَتْ « صَبِيحَةُ » : « لَوْلَا قُدُومُ جَيْشِهِ اللَّجْبِ لِنَزْوِ الْمَدِينَةِ لَمَا فَكَّرَ أَحَدٌ

فِي إِغْلَاقِ أَبْوَابِهَا، لِرَدِّ عُدْوَانِ مَنْ يُفَكِّرُ فِي غَزْوِهَا وَانْتِهَابِ كُنُوزِهَا.
 فَقَدْ حَاوَلَ «مَرْمُوشٌ» أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ فَعَجَزَ عَنْ ذَلِكَ وَرَجَعَ خَائِبًا مَذْحُورًا.
 وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ غَيْرُ الْأَمِيرِ «إِقْبَالِ» عَلَى اقْتِحَامِ سُورِهَا الْعَالِي، وَفَتْحِ بَابِهَا
 الْمَنِيعِ. «فَقَالَتْ «رَائِعَةٌ»: «رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ». وَقَالَ «إِقْبَالٌ»: «الْأَسْبِيلُ
 إِلَى تَخْلِيصِ الْمَدِينَةِ مِنْ مِخْنَتِهَا؟ وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهَا؟». فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»:
 «بَلَى، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَحَانَتْ الْفُرْصَةُ لِإِنْجَازِ هَذَا الْمُهْمِّ الْعَظِيمِ!»
 فَقَالَ «إِقْبَالٌ»: «وَكَيفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ؟» فَقَالَتْ «صَبِيحَةٌ»: «لَمْ
 يَبْقَ عَلَى كَشْفِ هَذِهِ الْمِخْنَةِ غَيْرُ سَاعَاتٍ وَدَقَائِقَ، ثُمَّ يَنْجَلِي لِأَعْيُنِكُمْ
 صِدْقُ مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنْ حَقَائِقَ». وَأَرَادَ الْأَمْرَاءُ أَنْ يَتِمَادُوا فِي أَسْئَلَتِهِمْ، لَوْلَا
 أَنَّ سِنَّةَ مِنَ النَّوْمِ طَافَتْ بِأَجْفَانِهِمْ، فَأَسْلَمَتْهُمْ إِلَى الرَّقَادِ.

فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ، اسْتَيْقَظَ الْأَمِيرُ «إِقْبَالٌ» فَجَالَ فِي جَنَابَاتِ الْقَصْرِ، وَقَدْ
 شَغَلَهُ التَّفَكِيرُ فِي إِتْقَادِ الْمَدِينَةِ عَنْ كُلِّ مَا يَحْوِيهِ مِنْ نَفَائِسٍ وَتُحَفٍ،
 فَمَشَى إِلَى حَدِيقَةِ الْقَصْرِ، فَرَأَاهَا قَدْ اتَّصَلَتْ بِحَدِيقَةِ الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ
 فَوَاصِلَ سَيْرِهِ قَلِيلًا، وَحَانَتْ مِنْهُ التِّفَاتَةُ، فَرَأَى الْبُوقَ الذَّهَبِيَّ الصَّغِيرَ، فَالْتَقَطَهُ
 وَعَادَ بِهِ أَذْرَاجَهُ، لِيُحَدِّثَ أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَاهُ.

٨ - خاتمة القصة

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ حُجْرَتِهِمْ رَأَى بُوقَ « عَوْسَجَةَ » يَنْجَذِبُ إِلَى شَفْتَيْهِ؛
 فَلَمْ يَتَمَلَّكْ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ، وَهُوَ مَشْغُولُ الْبَالِ بِرَدِّ الْحَيَاةِ إِلَى التَّمَائِيلِ
 الْجَامِدَةِ. فَمَا إِنْ أَتَمَّ نَفْخَهُ مَرَّاتٍ ثَلَاثًا حَتَّى تَحَقَّقَتْ الْأَمَالُ عَلَى يَدَيْهِ، وَدَبَّتِ
 الْحَرَكَةُ فِي تَمَائِيلِ النُّحَاسِ، وَعَادَ إِلَى الْحَيَاةِ كُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ حَيَوَانَ
 وَطَيْرٍ وَنَاسٍ. وَاسْتَيْقَظَ الْأَمْرَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنْ نَوْمِهِمْ مَذْهُوشِينَ. فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ
 « رَائِعَةٌ » لِلْأَمِيرَيْنِ « إِقْبَالٍ » وَ « وَادِعَةٌ » : « مَا أَشْبَهَ هَذَا الصَّوْتَ بِمَا سَمِعْتُهُ
 مُنْذُ عَامٍ وَنِصْفِ عَامٍ » .

لَقَدْ صَدَقَتْ « رَائِعَةٌ ». وَلَكِنْ شَتَّانَ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ ، شَتَّانَ بَيْنَ
 الصَّوْتَيْنِ : صَوْتِ الْيَوْمِ وَصَوْتِ الْأَمْسِ. هَذَا يَجْلِبُ السَّعَادَةَ وَذَلِكَ يَجْلِبُ
 النَّحْسَ ، هَذَا يُعِيدُ الْحَيَاةَ وَذَلِكَ يَدْفَعُ إِلَى الرَّمْسِ (الْقَبْرِ) !

وَهَمَّتْ « رَائِعَةٌ » أَنْ تُسْرِعَ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهَا ، فَرَأَتْهُ مَائِلًا
 أَمَامَهَا قَبْلَ أَنْ تَنْقُلَ قَدَمًا، فَقَدْ أَحْضَرَتْهُ الْجَنِّيَّةُ « صَبِيحَةُ » إِلَى الْقَصْرِ السَّعِيدِ
 قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ الْأَمِيرُ فِي الْبُوقِ بِلِحَظَاتٍ . فَلَمَّا عَادَتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةُ سَمِعَ
 ابْنَهُ فِي الْحُجْرَةِ التَّالِيَةِ ، فَانْتَقَلَ إِلَيْهِمَا ، وَعَقَدَتْ دَهْشَةً الْفَرَحَةِ أَسْنَتَهُمْ

جَمِيعًا ؛ فَبَكَوْا فِتْرَةً مِنْ فِرْطِ الشُّرُورِ . وَكَانَتْ سَاعَةً بِهَيْجَةٍ يَتَضَاءَلُ أَمَامَهَا
 الْعَمْرُ كُلُّهُ . وَأَقْبَلَ الْأَمِيرَانِ يَبْسُطَانِ لِلْمَلِكِ تَفْصِيلَ مَا حَدَثَ .
 وَمَا إِنَّ بَلَّغُوا مِنْ الْقِصَّةِ نَهَايَتَهَا حَتَّى رَأَوْا الْمَلِكَ « عَاصِمًا » وَالِدَ
 الْأَمِيرَيْنِ « وَادِعَةً » وَ « إِقْبَالَ » وَاقِفًا أَمَامَهُمَا . وَمَا إِنَّ رَأَاهُ وَلَدَاهُ ، حَتَّى
 أَسْرَعَا يُرْحَبَانِ بِهِ وَيُعَانِقَانِهِ ، وَيَسْأَلَانِهِ : كَيْفَ أَهْتَدَيْ إِلَى مَكَانِهِمَا ؟
 فَأَسْرَعَتْ « صَبِيحَةٌ » إِلَى إِجَابَتِهِمَا ، وَقَالَتْ لَهُمَا : « لَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ
 الْبَهْجَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِحُضُورِ الْمَلِكَيْنِ ، لِيَشْهَدَا زَوْجَ الْأَمِيرَيْنِ بِالْأَمِيرَتَيْنِ .
 وَهَكَذَا أُقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ ، وَابْتَهَجَ الشَّعْبُ كُلُّهُ أَيَّمَا ابْتِهَاجٍ .
 وَكَانَ يَجْرُ الْمَرْكَبَةَ الْمَلِكِيَّةَ جَوَادَانِ كَبِيرَانِ ، لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي الْخَيْلِ
 رَوْعَةً وَفَخَامَةً ، وَحُسْنًا وَقِسَامَةً ، أَحْضَرْتَهُمَا الْبَيْغَاءُ لِيَتِمَّ بِهِمَا الْبَهْجَةُ
 وَالرَّوَاءُ . وَلَا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْمَلِكَيْنِ وَالْأَمْرَاءِ حِينَ أَخْبَرْتَهُمَا « صَبِيحَةٌ »
 أَنَّ الْجَوَادَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحْضَرْتَهُمَا لِيَجْرَا مَرْكَبَةَ الزَّفَافِ هُمَا الْمَلِكُ « مَرْمُوشٌ »
 وَوَزِيرُهُ « أَنْبُوشٌ » اللَّذَانِ أَسْرَفَا فِي إِسَاءَتِهِمَا ، وَتَمَادَيَا فِي إِعْتِدَائِهِمَا ، وَتَفَنَّنَا
 فِي أَذِيَّةِ جِيرَانِهِمَا ، وَلَمْ يَتَوَانِيَا عَنْ إِحْقَاقِ الْأَذَى بِالْبَرِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَعْبَدَا
 ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمَمَالِكِ الْهِنْدِيَّةِ .

مكتبة الأطفال بقلم كامل كريلاني

أساطير العالم

- ١ الملك ميداس .
- ٢ في بلاد المعجائب .
- ٣ القصر الهندي .
- ٤ قصاص الأثر .
- ٥ بطل أتينا .
- ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

- ١ أصدقاء الربيع .
- ٢ زهرة البرسيم .
- ٣ في الاصطبل .
- ٤ جيارة الغابة .
- ٥ أسرة السناجيب .
- ٦ أم سند وأم هند .
- ٧ الصديقتان .
- ٨ أم مازن .
- ٩ العنكب الخزين .
- ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

- ١ جلفر في بلاد الأقزام .
- ٢ في بلاد العالقة .
- ٣ في الجزيرة الطائرة .
- ٤ في جزيرة الحيات الناطقة .
- ٥ روبنس كروزو .

قصص عربية

- ١ حمى بن يقظان .
- ٢ ابن جبير في مصر والحجاز .

قصص تمثيلية

- ١ الملك النجار .

قصص فكاهية

- ١ عمارة .
- ٢ الأرنب الذكي .
- ٣ عفاريت اللصوص .
- ٤ نعمان .
- ٥ العرندس .
- ٦ أبو الحسن .
- ٧ حذاء الطنبوري .
- ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

- ١ بابا عبد الله والدرويش .
- ٢ أبو صير وأبو قير .
- ٣ على بابا .
- ٤ عبد الله البري وعبد الله البحري .
- ٥ الملك عجيب .
- ٦ خسرو شاه .
- ٧ السندباد البحري .
- ٨ علاء الدين .
- ٩ تاجر بغداد .
- ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

- ١ الشيخ الهندي .
- ٢ الوزير السجين .
- ٣ الأميرة القاسية .
- ٤ خاتم الذكرى .
- ٥ شبكة الموت .
- ٦ في غابة الشياطين .
- ٧ صراع الأخوين .

قصص شكير

- ١ العاصفة .
- ٢ تاجر البندقية .
- ٣ بوليوس قيصر .
- ٤ الملك لير .